العجوز والذكريات

إبهار
للنشر والتوزيع

E.MAIL: ebharpuplishing@gmail.com
MOBILE: 0 106 026 7401

اسم الرواية: العجوز والذكريات
اسم المؤلف: محمد العاصي
تدقيق لغوي: محمود البكري- إيمان حسام
تصميم الغلاف: على عطية
تنسيق داخلي: أسماء عطا
رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٦٤٨٨
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٨٢٩-٤٠-٤

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

محمد العاصي

العجوز والذكريات

روايـة

الفصل الأول

استيقظت ذلك الصباح على صوت هؤلاء الصغار الحجم وعالى الصوت كأنهم يثورون على رؤيتي نائمًا أو كأنهم مرسلون لي أنا فقط

- اذهبوا أيها اللعناء

فتحت عيني وما كنت أرى سوى ضوء أبيض وكل شيء غير واضح فيما عداه هل هي لحظة موتي، أم ماذا؟! كم هو مرهق فتح عيني اليوم استجمعت قواي وبدأت حواسي وجسدي في الشعور ويلاه من شعور سخيف مبلل، نعم، أشعر بلل والبرد أين أنا اللعنة علي أنا أعرف هذا السقف جيدًا ماذا بي ملقى في أرض الحمام مستلقيًا على ظهري وفوقي شيء ما رمادي اللون هذا المرحاض عرفت هذا أنا على أرض الحمام وبكامل ملابسي أيضًا اعتاد الناس الاستيقاظ على فراشهم الدافئ أو على وجوه زوجاتهم أو أزواجهم سواء كانت وجوهًا جميلة حسناء وأعوذ بالله قبيحة أو حتى على صوت المنبه ليخبرهم أن وقت الشقاء قد حان أو صوت انفجار شجار أو رن هاتف أو جرس باب أو ما إلى ذلك من سخافات، ولكن ما أتى بي إلى هنا أنسى مؤخرًا كثيرًا. قمت حمامي صغير الحجم كما ترى مناسبًا لجميع أنواع البشر ما لم تقرر رفع ذراعيك فيه أو ما دامت سوف تقضي حاجتك وتخرج في لا بأس.

سوف أغسل وجهي أنا لم أعرفك بنفسي حتى الآن يا لي من رجل وقح أنا أُدعى محمد تجاوزت السبعين منذ عدة شهور تقريبًا على ما أذكر. عجوز أنا نعم لا داعي لتذكرني، فكل عظمة في جسدي وكل قرحة وكل

جوارحي تذكرني في رفق بي يا صديقي هل يكفيك هذا التعريف عني مؤقتًا حسنًا حتى نعرف ماذا أفعل في الحمام ولما لست على فراشي مثل خلق الله الصالحين أو حتى غير الصالحين على الإنهاء من غسيل تلك الهدب والتعرجات والله لو كان وجهي مدينة، لكنت مدينة مهجورة بسبب حرب ما كل ما بها خراب ولا تصلح إلا لتجربة نواوية حتى القنبلة كانت لا تضل طريقها لن أطيل عليك بالحديث عن وسامتي، لكنك صديقي ماذا أفعل إن لم أخبرك. ها هي ذلك فرشة الأسنان كان لي بالماضي أسنان قوية، ولكن أقسم أن لو ضغطت عليها قليلًا، لطارت احتجاجًا على وضعها وما فعلته بها في هي مليئة بالثقوب ومرتع للتسوس وقد تصلح امتحانًا للطلبة في كلية طب الأسنان ولكانت نتيجته لم ينجح أحد ولأغلقه الكلية لاكتفائها بهذا القدر شكرًا عزيزتي الفرشاة وها أنا ذا أصلع الرأس إلا ما رحم ربي ألم ترَ يومًا حقلًا فارغًا إلا من بضع نباتات تُدعى شيطانية، إذا طارت ببذورها الرياح إلى أن استقرت لا حول لها ولا قوة في أرض بور هذا الوضع في رأسي لي بالطبع أذنين كنا جيدًا على أحسن ما يكون وأفتخر بهم فكانتا ذواقتين للموسيقى والأغاني وتستطيع تمييز صوت المرآة الجميلة والذكية من الحمقاء والقوية والضعيفة كنتا مصدر معلومات جيدًا لي يا لي من وسيم ذي ذقن عجوزة عفا عليها الزمن وعفيت عنها أنا أيضًا ليست قصيرًا تصدر الخرابيش، إذا ما قبلتك في خديك بالطبع، فلن يسرك تقبيلي في فمي أبدًا، فما كانت بفكرة جيدة نسيت إخبارك شيء آخر وأخير عن صديقك أنا لدي أكبر أنف قد تراه على الإطلاق ولو كان كما أخبرتك وجهي مدينة بائدة، فكان أنفي ليكون جبلًا عظيمًا يحجب عنها وعننا ضوء الشمس أشكرك صديقي على احتمال

سماع ترهاتي، لكن كما أخبرتك هذا كل ما أصبح لدي الآن حتى لا تخبرني أني منافق أو مدعي لا سمح الله والآن لنعد إلى موضوع استيقاظي في الحمام، ولكن اسمح لي أن أذهب لآتي بملابس نظيفة غير مبلولة بالماء أو بتلك البقع الصفراء والتي لا أحتاج أن أفسر لك ما هي إنها كوب شاي احتسيته على القهوة إمبارح مع الشلة وإحنا بنلعب عشرة طولة كأن لن يضرني، عندما كنت في ٢٥ براد شاي أو كونتر شاي ما كان ليصبنني بذلك البول النتن على ملابسي، ولكن يا عزيزي، إنها ملامح الشيب ما هو إلا تراكم الزمن حسنًا حسنًا ذاهب قبل خروجي أتريد أن أخبرك كيف هو الحال بالمنزل؟ حسنًا أخرج من الحمام تجد بالأمام مرآة على الحائط هي متعرجة بنسبة ما ليست جميلة جدًا، ولكنها كانت جميلة بأي حال، عند فتح شباك الحمام، ينعكس ضوء الصبح عليها في منزلي الصغير تستطيع أن تسمع صوت الجيران وأحاديث المطابخ والأمهات ذوي المهارات في الزعيق وأفضل الشتائم وأجمل حوارات الحب ذكرني أن أحكي لك عنها يطل بيتي على مسجد قديم قدم بيتي ومنظر فسيح قليلًا لوجود مدرسة بل جوار وشارع صغير وعمالقة شاهقة ذات عضالات كبيرة عمارات وأبنية قديمة أيضًا، لكنها ما زالت عملاقة لمنزل ذي ٥ طوابق مسكين مثل منزلنا لنذهب سوف أدعك تنتظرني هنا حتى أنتهي عجوزًا ثرثارًا كمثل كل عواجيز العالم واللعنة هل سوف تجبروني على الصمت أيضًا وأنا عجوز؟ دعوني أتحدث أحضرت ملابسي سريعًا كما ترى وسوف أستحم سريعًا وأعود لأريك باقي منزلي ونتحدث عن موضوعنا الأول والذي بالكاد أذكره ولا أذكرك أنت شخصيًا. سامحني هل تأخرت لا يهم فليس هناك ما يقلقني بشأن الوقت ما كنت أقلق البتا وخصوصًا بشأن الوقت

والعمر حسنًا سأذهب وأفتح شبابيك منزلي المتواضع الصالون أولًا فدومًا ما كنت أعتقد أن علي أن أضئه بسرعة بعد استيقاظي حتى لا يطاردني الأشباح صالوني هو عبارة عن حجرة صغيرة بالكاد تسع ل ٥ أشخاص، هذا بالطبع إذا كانوا مناسبي المقاس والوزن، فبالطبع كما تعلم يتناسب الوزن والحجم والطول للاتساع في الغرفة الصغيرة، فلا يمكن بالطبع وضع اثنين من هؤلاء واسعي الأرداف والمؤخرات الكبيرة على كنابية واحدة وإلا جلسنا جميعنا بالممر، فتحت الشباك المطل على الشرفة الوحيدة في منزلي. الجو اليوم ربيعي بدرجة كبيرة هواء لا بارد قارس ولا حار قاسي جميل، ببساطة، الآن لنخرج ولنتجه لغرفة الآخرة والتي يفترض أن أكون بها الآن بدل الأرض فتحت شباكها العريض لأتخف أنه صوت الأرض الخشبية، كلما دست عليها، اشتكى الخشب من اتكائي كأنما يقول يا أحمق، كم لي أن أتحملك بعد من العمر، لقد تعبت منك حسنًا شكرًا لك سيد خشب الأرضية التعيس شباكي سريري، إنه مرتب ويسعد نظريك، إذا ما نظرت له سليمًا كان فارغًا من كتلة الهراء التي تنام عليه بالليل يبدو سعيدًا بدوني الآن من سريري ها هي ساعاتي والدواء وبخاخاتي التي لا تساعد على الإطلاق، فلن تجعلني أركض مرة أخرى أو ألحق بشيء حتى من أنفاسي ألتقت كم الساعة؟ بحق إنها الثامنة

الآن أبدًا بطقسي المعتاد يوميًا صنع القهوة بالحليب، لم أكن بذلك العمق والفلسفة من أن القهوة تجعلك حكيمًا وتعلمك الصبر ولم أكن أتغزل فيها حتى الصبر لم يكن عندي في صنعها كانت دومًا وأبدًا ما تغرق الموقد لم يكن لي صبر وكنت أشربها مجرد تقليد سخيف، فإذا ما لم يكن لدي بن، كنت أحتسي كأسًا من ماء جهنم الأحمر الشاي، نعم لا لا ليس الخمر ولا

النبيذ، كان الشاي منذ صغري أدمن عليه بلا سبب حب بلا سبب ككل حب أتعرف لما تحب ما تحب؟ إن عرفت الإجابة، فأحسدك عليها، فأنا لم أعرف لما أحب ما .

القهوة زي الستات أذواق ولكنك مجبر هنا في بيتي على ما أحب، فلا تكن ضيفًا ثقيلًا ألا قتلتك فما أظنهم يسلبون العالم كثيرًا بقتلي أو شنقي ولن يسلبوني أيضًا كثيرًا من عمري الباقي إلا أن كنت سأعيش حتى بلوغ ١٠٠ وكنت لأقتل نفسي بنفسي عندها يالليهول تراني كنت أقول لك إنه ليس مقدرًا لي شرب قهوة ذات وجهة يومًا عجوز أحمق بحق سأشربها وتشربها على أي حال، فدلق القهوة خير كما يقولون، ولكنك لست هنا لخطبتي أيضًا، فلن أجبرك عليها حسنًا الآن حان وقت الفطور أنا لست شخصًا متطلبًا ولا متكلفًا ولكن الرحمة ألا يستحق عجوزًا مثلي فطور ملوك ولو لفترة في حياته البائدة حسنًا فطوري هو طبق من مربة الفراولة والله ما أحببتها يومًا منذ أن بدأت تصنعها آلات حديدية في المربي كالحب ككل شيء يحتاج من الحنان ما يجعل له طعمًا أذكر ماضيًا أن أمي كانت تصنعها فننكب عليها حتى قبل أن تبرد طبعًا لن أطرق لطرقه صنع المربي، فتلك ليست من اختصاصي، لكن إن كنت تحبها، لن أتردد في كتابة الوصفة، وها هو الخبز الذي ما عدت أدري أكان خبزًا، أم أنهم يصنعون نوعًا من المعونة المقننة لمنع البشر من الانقراض؟ ولكن ما بيدي حيلة حتى الخباز ما كان يعرف إذا كان هذا خبزًا للبشر أم لأقزام، فهو لا يبالي لا لن أحدثك عن السياسة فأنا عجوز على الحبوس، سوف أضع عضلة لساني في كهف فمي وآكل والآن لنجلس على الطاولة صغيرة هي وكرسي من هذه الكراسي التي تقفل تفتح لم يكن لدي متسع لشيء زائد في منزلي

حتى أني أشك إن كان لدي شخص بالمنزل كيف كنا لنعيش لتسامحني لا لم أقصدك بالطبع، ولكن على رأي المثل "يبخت من زار وخفف" الآن وقد أرهقت معدتي الصغيرة على أن أضع قرص الفوار الهاضم حتى لا تقرأ في جريدة صباح الغد خبرًا عنوانه "وفاة رجل عجوز في ٧٠ من عمره بسبب ربع رغيف مربة وللعلم مربة فرولة ولأهله الصبر والسلوان" علي تفقد نباتاتي في الشرفة وريها بالماء هيا لنراها ها هي ورود وزنبق وعليقات في كل الأرجاء أني أحب الورود والزرع الأخضر لو خيرتني أن أعيش على هيئة نبتة ما، كنت لأشتكي كنت لأشعر بالرضى على حالي فعلى الأقل أعرف دوري وسبب وجودي هنا أعطي وأبني وأنتهي وأضمحل وحين تشرق الشمس، أبتسم وفي الغروب أودعها وقد أزهر بعض الوقت وقد أثمر عن شيء جميل تراه أو تشمه أو حتى تأكله حتى في موتي منفعة لتربتي ما كانت لأزعج العالم ولا كان لا يشعر أحد سواء هذا المغفل الذي يزرعني أو أدر عليه نفعًا بطريقة أو أخرى حسنًا حسنًا أعرف أعرف أنا عجوز ثرثار إن لم يعجبك الأمر فاذهب واغرب من هنا أنا حتى لا أستلطفك أين وضعت قهوتي؟

من يطرق بابي يا ترى لنرى؟

-صباح الخير أستاذ محمد

-صباح النور إزيك يا أستاذ حسن

إنه أستاذ حسن جاري، إنه يسكن في الشقة جواري إن كما ترى الطابق عبارة عن شقتين رجل محترم هو حسن يصغرني في السن هو، ولكن ليس بذلك الفرق الذي يجعله يتفوق علي في سباق ١٠٠ ميل حواجز فالحال

من بعضه المسكين كادح كان موظفًا في شركة للصابون والزيوت والآن بعد أن أصبح على المعاش، اشترى بمكافأة نهاية الخدمة سيارة تاكسي يعمل عليها له زوجة تُدعى نعمت وأنا والله لا شك أن تلك بنعمة بحال من الأحوال كانت سمينة وكان هو بكرش ولكن مقبول طول عمري أود أن أراهما يقبلان بعضهما أو حتى يهمس في أذنها فأعتقد كان ليتوجب على أحدهم أن يمشي عكس الجاذبية لفعلها، ولكنهما في النهاية طيبان إلى حد ما لا لست أذكر بالضبط كم كان عدد أبنائه ولا أين هم المهم أنه ونعمت يعيشان بجواري، لتصيبني اللعنة على ثرثارتي لنرى ما يريد حسن

-مالك يا أستاذ محمد مسهم ليه ومتنح كدة؟ يمكن من شطرنج أول إمبارح الي غلبتك فيه؟

-اتعلمها يا راجل ده إنتة داخل على الحاجة و٧٠ ولسة بتخسر.

-"يا لك من رجل قبيح يا حسن يا ابن أم حسن" بيني وبينك يا صديقي نعم أحدثك أنت ليس حسن أسحب كل كلامي الجيد عن حسن أبو كرش هذا الأقرع المخروطي الشكل الي بيمشي بجانبه حتى لا يسقط الفازات أستأذنك قليلًا حتى أترك علية كلبي السعران لساني.

-أنا يا حج حسن سيبلك الدور مرة من نفسك تكسب حاجة يعني مسكين إنت لا بتكسب في بيتك مع مدام نعمت ولا في وسط سائقي التاكسي وسيارات الملاكي وسائل النقل العام ده إنت حتى في شركة الصابون كنت صابونة غسيل الهدوم الصفراء الي وقفو إنتاجها وإنتاجك معاها وجت غسالة فول أوتومتك قعدتك في بيتك.

-كدة يا عم محمد ماشي بليل نتقابل على القهوة ونشوف مين فينا الي صابونة صحيح كنت فين إمبارح مش كنا متفقين نتقابل على القهوة خبطت عليك مجتش؟

-"يا إلهي ألم أكن أمس في القهوة؟ ماذا حدث لي أمس"

-والله شكلك خفت وزغت علشان كل الشلة كانت حتتفرج على فضيحتك يا أبو حميد.

-يا راجل روح شوف مدام نعمت بتنديلك من المطبخ الحقها لتكون عايزاك تكنس ولا حاجة.

-سلام يا حسن أبو علي.

-سلام.

أوف كيف لك أن تتحمل حديث العجائز هذا وأنت شاب هكذا؟ نحن العجائز تشعر معنا أن الزمن توقف أو صار بطيءً حتى أحاديثنا ما عادت مثيرة مثل أحاديثكم أيها الشباب، لكن هيه هيه لا تضحك علي هكذا، أنا لست عجوزًا مملًا مثلهم لدي الكثير لأقوله هذا بالطبع إن تذكرت أن أقوله أشبه بطفل في العاشرة من عمره وأمامه ورقة امتحان يرى السؤال يقرؤه ويعرف أنه بالأمس قد أكل علقة علشان يفتكره بكرا في الامتحان لما يجي السؤال ده يا واد يا حمادة يا عبقري جاوب بكذا ولكن الواد حمادة العبقري كان بيفكر وقت ما كانت ماما بتشرح له في ما وراء الامتحان من إجازة طويلة بها مصيف ولعب وسرحة وعجلة وأتاري إن كنت من جيل الأتاري أو ما بعد ذلك أو قبله من لعب وطبعًا حمادة كعادة نسي السؤال وإجابته وشاف القطة قالها بسبس فالتلو نونو ونسي ونسيت أنا معاه ما

كنت أريد أن أقوله لك على أي حال لنرتدي الملابس اللائقة للخروج من هنا للشارع ونتحدث ها أنا ذا لا أدري لما دومًا أنا هكذا حتى في اختيار ملابسي تارة ما كانت أرضى سوا ببنطالون جينز ومجرد قميص أو تي شيرت ليس مهندم وتارة تراني منهمكًا في كي القمصان واختيار بزلاتي، ولكني حتى في صغري ما كنت لأبتذل في ملابسي أبدًا ما كنت لأرتدي مثل شباب عمري وقتها من بناطل كما دعوها سليم والله يا أخي كنت بتكسف ألبس شورت حتى ولن تراني ألبس ألوان شبابية مثل الورد والأحمر الصارخ والأخضر وما إلى ذلك حتى أني كنت أقرأ ما كتب على التي شيرت قبل ارتدائه مخافة أن يكون هؤلاء الزنديق الكفار كاتبين كعلامات مثل نيرد وأم سكسي ان أم نويت فما كنت أرضى لنفسي أن أكون نيرد أو سيكسي ولو كانت آخر ملابس على كوكب الأرض لكنت مشيت عاري أكرملي على الأقل كنت لتعرف حقًا أني لست بسكسي على الإطلاق المهم ارتديت كما ترى قميصًا وبلوفر على رأي جدتي علشان صدرك يدفى وأنا الآن بحاجة للدفء بعد نومة أرض الحمام الرطبة وبناطلي الجينز وحذاء بسيط كما ترى وكسكتا وساعتي القديمة والوحيدة السويسرية الصنع ولننزل الدرج ببطي من فضلك فلقد سقط مرات هنا ومرات هناك إلى أين توقف هنا أنا لدي سيارة ها هي بذلك الجراج واو صحيح أليست جميلة فيت ١٥٠٠انها سيارتي أعلم أنها عتيقة ولكني اشتريتها بملغ من المال يصعب عليك تخيله بالماضي سيارتي هي زوجتي ورفيقة عمري وصديقتي المفضلة التي لم تتخلَ عني يومًا وكانت لتعرف أني مخطا ولكن لم تتوقف وتقول لن أسير معك بعد اليوم أيها الأبلة عديم النفع تفضل بالركوب فخمة ها وذلك الجلد الفاخر البني هو حقًا جميل

فلنذهب أووه كم أحب صوت ماتور سياراتي الجميلة مرحبًا عزيزتي بالطبع يا صديقي سوف أدير الموسيقى في أيامي العادية بالطبع باستثناء وجودك ورغبتي في الحديث ما كنت تركت الموسيقى واستمعت لحديث أحدهم ولكني أريد الحديث اليوم مدينة صاخبة طوال حياتي ما كنت أحب الخروج صباحًا، كنت أحب الصباح ولكن في مدينة مزدحمة كهذه الناس فوق بعضها تتلاحم الأجساد في كل مكان كنت دومًا ما أترفع بنفسي عن هذا وحتى إن كان يعني هذا ضياع مواعيد أو أحداث مهمة لو كانت نهاية العالم ما كنت لأستيقظ لأركض فأين المفر على أي حال كانت أفضل النوم صباحًا على رؤية هذه الوجوه العابسة ولكن ما بيدي حيلة على أن أأتي بالمال حتى أعيش لست من موظفين الحكومة ولا من القطاع الخاص أنا دائمًا وأبدًا شخص حر أقدس نفسي كلنا نتمنى أن نكون أحرارًا بشكل أو بآخر، كلنا نكره أن نحبس كلنا لنا سجنه الخاص بطريقة ما كلنا سجين شيء وقليل هم من يعرفون سجنهم وقليلون جدًا من يهربون منه ومن حراسهم بعضنا سجين فكرة وبعضنا سجين إحساس وبعضنا سجين أشخاص وسجين عادة أو سجين نفسه حتى أعشق إحساس أن أكون حرًا على كل المستويات، ودائمًا ما أحب في نفسي كسري للحواجز والأسوار منذ كنت صغيرًا أشعر أني حر أرى نفسي طائرًا يحلق عاليًا غير مبال لشيء لا أحد يكبلني للأرض لا أحد يعبث بسعادتي لا أحد يعطيني أوامر دومًا ما أتمرد سريعًا وكل مرة فعلت عكس ذلك، كنت كذلك الطائر الذي أجبر على الأسر لا يأكل لا ينام لا يغني كباقي الطيور دومًا ما أحسد الأطفال على تلك النعمة على الحرية المطلقة في فعل الأشياء، لو كنت طفلًا مجددًا لركضت بلا توقف، فمن يلوم طفلًا على استخدام

حرياته كنت لا تتعب وإن تعبت تنام وقتما تشاء وفي أي أرض وتحت أي سماء كنت لتبكي، إن لم تحب هذا وتتركه بكل بساطة، وترحل بعيدًا من يلومك ومن يجرؤ كنت حرًا لتكرهه وتحب، كنت سيد قرارك ولكن سُلِب منك وقتها العقل، فكنت حرًا هل العقل بحد ذاته سجن أكبر؟ فالسجون كما تعرف تصنع على كل الأحجام والأشكال؟ ولكن ما باليد حيلة على أن أطعم نفسي ويمكن أفتكر في الطريق إمبارح الي كل معلوماتي عنه إني نمت بأرض الحمام

الفصل الثاني

الدكانة قصص: جدتي

سوف أتوقف هنا حيث هذه ورشة الحج غالي والتي أعمل بها هي مصدر دخلي حيث أسدد بالكاد فواتيري وأضع وقودًا في سيارتي وأشتري حاجاتي من الطعام وما إلى ذلك والدواء بالطبع، وإذا بقى شيء، تكون رفاهية أحب أن تحدث دومًا ولن أعترض عليها، فلنفتح ذلك الباب ماذا نصنع هنا كان أواني الزجاجية كانت ورشة لعمل الزجاج والخزف، نعم تشعر من كلامي أنها لورشة كبيرة، لكن لا هي مجرد محل ذي بابين في منزل قديم في حي بسيط، وبالطبع ما عدت أصنع أشياءً كثيرة بيدي، ولكن بالماضي صنعت أشياءً لا بأس بها إطلاقًا مما جعل الحمقى حاملي النقود يتدافعون لشرائها حتى أنا أحب تلك الأشياء التي لا تعني شيئًا لبعضهم مثل دمي الماتريوشكا كنت أبهر بالألوان والأحجام والأشكال، أعتقد أن صانعها فازيلي زفيوزدوشكين كان مثلي يؤمن بأن ليس كل شيء ليس ذا منفعة مادية شيئًا من الشيطان أحب الاحتفاظ بالعلب الفارغة وملأها بالأقلام بالخيوط برسومات بخطابات دعاوي لحضور زفاف مخالفات وقوف في المكان الوحيد ممنوع الوقوف بساعاتي القديمة والصور المرسومة والمشيدة بالخيوط حتى كنت لأعشق وجود مكتبه في بيتي مليء بالكتب حتى إن لم أقر منها سوى العناوين كنت دومًا أحب وجود تلك الأشياء كانت لتعطيني إحساسًا أني حي لي تأثير في محيطي لي كيان كل من يراها يخبرني أوه لك ذوق جميل فأشكره لكن لم أستطع أن أكون أيضًا

ولظروف مادية أن أشتري لوحات بالملاين كانت أغلى لوحة امتلكتها من رسم شخص مغمور، ولكن أحببتها كنت أرى الجمال في تلك الأشياء وكان لا يختلف بيكاسو وهذا رسم لوحتي غير أن بيكاسو وجد مجانينًا أكثر ليحبوا فنه، أما المسكين كان يبيع لوحته لأجل حفنة من المال مثلي أصنع الفخار وتلك الأشياء لأجل حفنة من المال تجعلني قادرًا على وضع طبق ملوخية بالفراخ وأرز بالشعرية على سفرتي ها قد بدأ العاملون بالقدوم يعمل معي من العمال ثلاثة (منعم وفاروق وكامل) فاروق كان من بدأ معي العمل معي من البداية هو كان بالماضي شابًا بسيطًا تخرج في كلية الحقوق وعمل بمحل كان لوالده إلى أن اختلف مع إخوته كالعادة على تلك الأوراق المطبوع عليها رؤوس بشر وبعض معالم آثارية حتى حكم وأشعار كالتي تكتب على الدولار الأمريكي in god we trust وكانوا والله ليكذبون ما كانوا يثقون سوى بتلك الورقة الحقيرة التي أصبحت للناس الإله الواحد لا شريك له، كانوا يقتلون ويفعلوا كل شيء لأجلها.

-صباح الخير فاروق ناموسيتك كحلي المفروض إنتة أصغر مني بيجي عشرين سنة تصحى بدري عني ولو بساعة

-أصل يا محمد ياخويا كنت نايم وبحلم حلم غريب جميل ميتحققش كدة

يا سلام ربنا يجعله خير ده حلم إيه ده الي قالب حالك ومصحيك الساعة ١ الظهر ده

-آه يا محمد ياخويا آه

-في إيه يا جدع إيه حلمت بإيه؟

-صلي على النبي.

-عليه الصلاة والسلام

-قال أنا إمبارح بعد ما شطبنا سوا بليل أنا والعيال وإنتة مشيت بدري روحت قعدت على القهوة ولعبت العشرتين طولة بتوعي معاهم ولعبنا على المشاريب

-"يا لله إذا هكذا أبدو لك حين أتكلم حقًا لك كل الحق في كره سماع أحاديث العجائز أمثالنا"

-سرحت فين يا محمد

-ها معاك كمل

-قوم شيلتهم وقوم منكشح وروحت البيت ولقيت أم خالد طبخالي إيه بامية بلحمة المفرومة وإنتة عارف أنا بعز البامية بلحمة المفرومة إزاي

-أكيد أم خالد كانت عاوزة تصحي جواك شعور مات من زمان ولا حاجة أو طمعانة في "كتشنن ماشين" ولا عاوزة حاجة

-آه يا محمد ياخويا كلت البامية والدنيا وردي وقامت أم العيال رقعتني واحد شاي تقيل حبر

-"رقعته طبعًا إن لم تفهم تلك الكلمة أو المصطلح، فأخبرك عنه نستخدمه نحن المصريون في حالات الطوارئ المستعجلة من ضرب مثلًا كرقعتني بالشبشب وفي حالات الانتشاء كرقعتني شاي أي شيء قد يرقع ولكن في وقته"

-إنت مالك يا عم محمد مش معايا ليه مسهم ليه؟

-لا أبدًا معاك رقعتك شاي تقيل ها فين الحلم في ده.

-اصبر التقيل ورا قوم أنا شربت الشاي وفتحت التلفزيون أتفرج على الدنيا.

-"كم أنت كذاب فروق في الدنيا ليست بما يعرض في التلفزيون كانت دومًا الدنيا خارج التلفزيون ونحن محبسون في الشاشة"

-اتفرجت على كام برنامج مسابقات على برنامج عن حياة الحيوانات وجيبين سبحان الله قال الفيل بيحس وبيعيط على قرايبه لما يموتوا وبيعرفهم وجيبين فيديو للفيالة مشين وفي سحلفة في الأرض بينهم ماشية ومدسوش عليها تخيل قطيع فيلة مشيين وسحلفة صغيرة مدسوهاش أعتقد حظها كدة ولا إيه رأيك يا محمد؟

-أكيد الفيل حيوان ذكي وعنده شعور هو جلده تخين آه ولكن بيحس أكتر من ناس كتير يا فاروق ومش حظ لا أكيد شيفين السحلفة الفيل عنده شيء زينا بنتولد بيه اسمه الفطرة السليمة بتفضل سليمة عن البني آدم لحد ما يبدأ شيطانه والمجتمع في اللعب في فطرته فتبقى مش سليمة أو تبدأ سليمة في الانحراف للأسف أصل كمان الفيل مش زينا علشان هو فيل ورئيس مجلس إدارة حي الغابة كان ليفتري على المساكين ويقتل السحلفة علشان تجرئت ومشيت في طريقه ولا كان يقتلها علشان بتاكل حجات خضرة فهتاكل رزقه.

-آه صحيح يا محمد عجيب الحيوان ده.

-وإنت الصادق عجيب الإنسان يا جدع فين الحلم أنا عندي زهيمر وبنسى ولو نسيت الموضوع هخليك ترجع تحكيه تاني وهأكلك قلقاس تاني وأفرجك على متش كورة من الأول.

-لا ندخل في الموضوع روحت طفيت التلفزيون وصليت العشا وقولت إيه أدخل أنام أم خالد طبعًا كان عندها غرض في البامية وعرفته كانت عاوزة تشتري تربيزة مكوة علشان ظهرها وجعها من قعدة الأرض فقولتلها بكرا أشتريهالك إن شاء الله.

سلامو عليكم.

-أهلًا منعم صباح الخير مالكم النهاردا كلكم وأنا متأخرين ليه؟

-استنة يا منعم أكمل الحلم.

-حلم إيه يا فاروق؟

-لا بقولكم إيه أحكي الحلم والله دقيقة كمان وهنساكم وأنسى اسمي وندور على حد يفكرني.

-آه آه خلاص هقولك الحكاية بعدين المهم الحلم علشان الراجل الي بيخرف ده

-دخلت نمت على ١ ونص كدة وحطيت راسي على المخدة وهاتك يا شخير.

-الله يكون في عونها أم خالد يا سيدي.

-حلمت بأمي الله يرحمها في بيتنا القديم ومعاها طبق كبير سنلستيل.

"طبعًا تسأل ما هو السنلستيل هو والله ليس بسنلستيل، ولكنه استنانلستيت خليط من الألمونيوم وبعض مواد يأكل فيه ولست أدري والله ما دخل السنلسنيل هذا بالحلم أكان يفرق التفسير، إن كان سنلستيل أو طبقًا بلاستيستيلًا، الله أعلم".

-وأمي إيه جيبالي في الطبق رغفين عيش وكوباية شاي بلبن كبيرة وأنا روحت ماسك العيش مفتته وروحت حاطط الشاي بلبن عليه ونازل أكل وروحت مكوع على الكنبة بتاعة أبويا الله يرحمه.

-الله يرحمه وبعدين؟

-روحت لاقيت واحدة زي القمر ميلة بوشها عليا وتقولي قوم يا فاروق كفايا نوم كدة روحت قايم وطبعًا عارفين هعمل إيه بقى؟!

-الله يسهلك يا سيدي فتتة وبنت حلوة في حلم واحد يا محظوظ.!

-لسة التقييل ورا وهوب خلصنا مع ست الحسن وفجأة لاقيت نفسي على جزيرة معاها وبنات تنيين يعني لو واحد منكم شافهم كان مات من حلاوتهم.

-لا إنتة بصراحة يا فاروق ذوقك حلو جدًا في الستات بدليل أم خالد.

-اسكت يا محمد ياخويا اسكت والله ولبسين شرشيب خضرة وتاج ورد وحاجة دلع وكل واحدة الي تدلكي رجلي والي تجيبلي عصير والي فاكهة والي والي والبحر قدامي أزرق وجميل وهوب جبولي كبوريا وجمبري جمبو.

"بالطبع هذا من وحي خياله فأشك إن فاروق كان يعرف الجامبو ولا أبو فاروق عرف الجامبو كانت أعزم عليه بسيجار مرة فعتقده بقسماط مستورد حتى أقسمت له ولحقته من طرف فمه".

-وإستكوزا وسمك كتير ونزلت عليهم أكل وهاتك يا بوس في دي ودي وده وبس جت مفرقة اللذات أم خالد وصحتني مش هتقوم تروح شغلك يا حج؟

-لو تعرف أم خالد حلمك ده كانت رقعتك بوكس زي ما رقعتك إمبارح بامية.

-والله يا محمد ياخويا اتصدمت لما عرفت إن ده حلم.

-تلاقيك متغطيش كويس إمبارح بس.

-لا يا منعم هو اتغطى بس الظاهر البامية باللحمة كبست على نفسه ومن فرحة معدته ومخه اتسلطن راح رقعه حلم تكريم لمجهوداته ولما استعصى على مخه إيجاد حلم عدل فخياله المحدود الي كله فتة شاي بلبن راح جيبله حلم تفصيل من خليط من مذيعات التلفزيون على الوثائقية الي اتفرج عليها وعمله حاجة نظيفة.

-اتريقوا اتريقوا ماانتم مشفتوش الي شفته والي كلتو الي كالتو.

-يلاه يا عم نشوف شغلنا، يا عم فاروق

-أنا هعملنا شاي تشربوا؟

-اعملنا يا منعم محدش يقول لا للشاي.

-فين كامل حد كلمة؟ ليكون هو كمان بيحلم في قارة هنا ولا محيط هناك؟!

-بتصل به على الموبايل وإذا بيه أمامي.

-صباح الخير على وجهه غضب الله كما ترى.

-وزود واحد شاي كمان يا منعم كامل جه.

-مالك مكشر ليه على الصبح؟!

-أهو حال الدنيا أصحى الصبح ألقى الواد علي كان بيتسرمح طول الليل بلعربية وخبطها كمان.

-يا حول لله جيل عاوز الحرق يا كامل ياخويا.

-جيل بايظ مبيشلوش مسؤولية.

-إيه يا جماعة إيه يا منعم إيه يا فاووق محدش شافكم زمان يعني؟؟!

-لا لا إحنا كنا غلابة يا عم محمد معمرناش زعلنا أهلينا ولا جيبنالهم مشاكل أبدًا

-يا راجل طيب؟

-معلش يا كامل سيب العربية للأسطة جابر يصلحهالك. عادي ماهياش فراري يعني هيجيبلها قطع غيار من إيطاليا.

-طيب الله يسمحك يا سيدي.

-نشوف شغلنا بقى قال منعم.

-أيوة متسربع عشان تجيب تربيزة المكوة وتترقع طواجن؟

كنت أنا ذا روتين ممل وهما أيضًا في طقوس عملنا يوميًا كنت أبدأ بأم كلثوم كانت أم كلثوم قديمة حين كنت شابًا تورثتها وأغانيها من بيتنا والدتي تحديدًا كانت تحب أم كلثوم لها طقوس كانت أم كلثوم من ذلك النوع من الأشياء التي تسمعها مساءً فقط وفي هدوء أو صباحًا في ورشة عمل لناس مثلنا هادئون يحاولون الإبداع، غير ذلك ما كنت لتحب

سماعها، فكيف لها أن تقول لك طال البعاد؟ وأنت تجلس في حضن أحدهم في الأتوبيس أو مترو الأنفاق وأنت عمري وأنا والله عمري ما كنت أرضى أن تكون هكذا نهاية كوكب الشرق.

لا أدري لا اليوم رغبة في فعل شيء ما جديد كنت دومًا ما أرغب في فعل شيء جديد، وكانت لي دومًا تلك الرغبة لم تمت يومًا فيا، لست شخصًا ملولًا أفقد حماسي سريعًا أبدًا، لكني كنت أكره هؤلاء الذين أستطيع توقعهم الذين تجالسهم، فلا يغيرون حتى موضع قدمهم هؤلاء أصحاب نفس الجمل ونفس الترتيب، ما كان أبدًا يستهوني هذا الصنف من البشر أبدًا شخص رتيب حد المرض إن كنت أنا هكذا يومًا، فلا أستغرب أن لا أصدقاء لي، فمن يتحمل شخصًا كهذا حتى محاولة تغير حوارك معه، كان كمحاولتك جعل الشمس تشرق من المغرب وتغرب من المشرق، كنت دومًا ما أرغب في تغير، يجعل الأيام أجمل تغير يجعل حياتنا محتملة حتى على مستوى حياتي الصغرى ما كنت أحب أن أكون شخصًا رتيبًا؛ لذلك قررت اليوم بعمل شيء ما جديد، لنبدأ هذا التغير.

-هاي يا جماعة يا كامل يا منعم يا فاروق؟

-النهاردا إيه؟

-الخميس يا محمد.

"أووه يا إلهي، كم أحب الخميس أنا من أنصار يوم الخميس حتى لو كنت بالأساس لا أعمل شيئًا طوال الأسبوع فللخميس عندي قدسية غريبة"

إيه رأيكم نروح نصتاد سمك؟ على المريوطية مروحناش من أكتر من شهرين كمان معندناش طلبيات مهمة أو حاجة مستعجلة السنانير معايا

في العربية أعتقد هنحتاج طعوم نجيبها من أي مكان على طريقنا ونقضي باقي يومنا هناك ها إيه رأيكم؟؟!

"لا أدري لماذا يبدو عليهم الذهول والبلاهة هذه أفضل فكرة جالت في خاطري عن يوم مختلف وهم يعرفون أن هذه عادتي ما بهم"

=إيه بتبصوا لبعض ليه كدة مين جيه كل يوم بنجي نفتح الدكانة ونشنغل حتى العدة قرفت من وشنا نغير ولو يوم يلاه بينا؟

=اشتريلنا كل الي يلزمنا يا منعم وخدلك قرشين أهم.

"يجب أن أسألهم عن الشاي فكيف ليوم صيد دون مؤونة من الشاي يهون عليك ويجعلك تنتظر أن تصتاد سمكة أو تصتادك السمكة حتى كان يجب الشاي"

-جيبت ترموس الشاي يا فاروق؟

-أنا أنساه إزاي ده كلام عارف دماغك يا محمد.

-"إذًا فلننطلق يا صديقي إلا إذا كنت ترغب أنت أيضًا في شيء لزوم الصيد، فلكل شخص كييف والكيف بذل"؟؟

-"ها نحن ذا وقت الظهر، لكن الشمس لطيفة فهي شمس الشتاء التي تدفئك واعذرني في اللفظ دون أن تلسع قفاك ربيعيه جميلة.

ها أنا ذا بالكرسي والشاي والصنارة وكل واحد بكرسيه ونرمي الصنارة على بركة لله في بحر الله الواسع وأرزاقنا على الله، كم أحب منظر البحيرة هي ليست ببحر هائج ولا مفتوح، إنها بحيرة جميلة هادئة أخاف هدوءها أحيانًا كأن وحشًا ما كوحش بحيرة لوخ سوف يخرج منها، يا للهدوء كيف لهاذا الهدوء أن يكون بداخله صراع بين أنواع لا تحصي من السمك

والحيوانات؟ وحتى إن لم تكن هناك صراعات، كنت أخاف هدوءه وكأن موجة البطيء يحمل لي ضغينة أو يخبئ عني مؤامرة، سوف يقوم بها ولن اتوقعها هؤلاء الحمقى معي يتنافسون على من يخرج سمكًا أكثر، وأنا وأنت هنا نتحدث كأنا فلاسفة فلنتحداهم إذًا ولنفوز، فلن أقوم على أي حال حتى إن خسرت بشوي السمك تلك كانت ميزة. الروماتزم والأمراض المزمنة ليست سيئة جدًا في نهاية الأمر.

أتعلم بمناسبة الأسماك والحديث عنها أذكر بالماضي قصة كانت تحكيها لي جدتي، ليس لدينا شيء الآن سوى انتظار الأسماك الجائعة؟ فانتظرني أملأ كوبي بالشاي وأخبرك عنها.

كانت تخبرني جدتي عن أن هناك ببحيرة ما كتلك التي نحن نجلس عليها صياد للسمك لديه قارب صغير وكان هذا الصياد يعتاد الصيد فقط وكان يسكن في قرية للصيادين ويسكنون الأكواخ بقرب الشاطئ، وكانوا يصنعون القوارب من خشب الأشجار الذي يقطعونه ويصنعون الشبك من الحبال من لحاء الأشجار، انتشر بالقرية خبر عن وجود وحوش بالبحر تخطف الصيادين ليلًا وتقتلهم وكانوا يقولون إن الوحوش تلك تكره رجال البحر بوجه العموم ووصلت للمدينة هذه الأخبار، فبدأ الحكام يرسلون سفنًا بالبحاره والجنود وحتى عرضوا مكافأة على القراصنة للقبض على الوحوش، بالطبع هذه القصة بالماضي السحيق، عندما كانت البنادق والمدافع حديثة العهد على الأرض، وإذا بالأخبار يوميًا تأتي وتقول إن سفن حربية اختفت بمن عليها من جنود وعتاد لنعد، لصيادنا صاحب القصة، إذا به خرج مبكرًا كعادته وكان قد رمى شباكة وجلس مثلنا ينتظر في ضباب الفجر السمك ولا يرى شيئًا أشعل سيجارة

وتناول فطوره البسيط وجلس لوقت الظهيرة كان يفكر بما سوف يأتي لأطفاله وزوجته من طعام وأشياء، ثم أخذ قيلولة صغيرة واستيقظ ولملم شباكه بما فيها من أسماك، وأخذ عائدًا للشاطئ واستقبله أطفاله وساعدوه في جمع الأسماك للذهاب للسوق، فقابل صديقًا له في السوق فسأله إن لم يلحظ شيئًا اليوم في البحر؟ أجابه بالنفي أبدًا لم ألحظ شيئًا غير المعتاد، بل أني غفوت ونمت.

أو يا إلهي ألم تخف النوم وسط الوحوش؟

لا أخاف شيئًا لم أره.

حسنًا ابتاع منه السمك ورحل.

إذا بالصياد لا يجد أحدًا غيره يبيع السمك في القرية خوفًا من الوحوش كما يدعون، الكل غير مهنته وبحث عن شيء آخر ومنهم مَن رحل تمامًا عن القرية، فلم يعرف هل يخاف مثلهم أم يبقى؟ يقول لنفسه أنا لا أعرف غيرها مهنة ولن أتعلم غيرها غير أن الربح زاد بسبب قلة البحارة والصيادين، فقرر البقاء وعدم الخوف، بدأ أهل القرية بالسماح لمخيلاتهم بالعمل وبدأت تظهر قصص، مثل أن ذلك الصياد هو إله مثل بوسيدون أو بوسيدون نفسه انتشرت شائعته حول البلاد حتى وصلت للملك ذاته القصة استمر كل شيء كما هو للصياد، حتى ذهب صباح يوم من الأيام للبحر، وكعادته يرمي شباكه وينتظر بيقرب بذوغ الفجر وينزل برد الصباح وإذا به يرى ضوءً يعير الضباب ضوء مصباح زيتي كالذي يحمله معه، وإذا بقارب صغير يحمل طفلًا اقترب منه أكثر فأكثر حتى أصبح بجانبه ثم سأله ويبتسم كيف حالك يا عم؟؟

فأجابه أنا بخير هل تعرف الإبحار في سنك الصغير هذا وماذا تفعل في هذا الوقت أليس عليك التواجد في مكان ما؟

لا يا عم، لقد أرسلت لك أنت اليوم.

ظهرت ملامح الخوف على وجه الصياد صاح هاي يا ولاد اغرب عن وجهي إلا قتلتك؟؟!

اهدأ يا سيدي، قالها وهو باسم هل لي بسؤال لك؟

ماذا تريد مني صرخ الصياد؟!

كل ما هناك هو سؤال وأرحل.

ماذا تتمنى يا عم؟

أنا أستطيع تحقيق أي شيء ترغب به.

رد الصياد لا أريد شيئًا اتركني لحالي.

فذهب الفتى في صمت ولم يجبه.

وعاد الصياد بيته خائفًا يرتعش وبدأ فعلًا يفكر في سؤال الفتى ما أتمنى إن كان هذا الفتى صادقًا؟ هل هو جني أم من نوع عرائس البحر فيعطيني أمنية أو اثنان؟؟، وبقى الصياد الليل كله يبحث عما يتمنى اليوم التالي عاد للبحر وعاد الفتى مبتسمًا

هل اتخذت قرارك يا عم؟

أنت فقط من انتظرته تلك المدة؛ ليعطيني جوابه!

أنا لدي بعض أماني يا فتى، ولكن أخبرني من أنت؟

ملاك أم شيطان أم جني أم ماذا!؟

يا عم، أنا لست سوى ملاك خير، أعطي الناس أمانيهم، لست سبب ضياع الصيادين والحرس لست الوحش نا، هم من كانو يحاولون ان ياخذو أكثر مما اعطي انا أعطني ما تتمني احققه لك؟

حسنا أنا لا أدري لما أصدقك، لكن لدي أمنية؟

أريد أمنييتي أن أكون سعيدًا وعائلتي فقط!

فعلًا أجابه الفتى لك هذا.

ورحل وعاش الرجل بسعادة.

وتوتة توتة خلصت الحدوتة

نعم لم تخبرني جدتي إلا بهذا الجزء السعيد وكنت أنام أنا من فرط التعب ولم أكن أخف في حضن جدتي أن يأتني الفتى،

لكن أتعرف لدومًا ما تساءلت أنا، عن هذا الفتى هل هو شيطان أم ملاك؟ هل قتل كل من قابله؛ لأنهم تمنوا أن يكونوا ما لا يستطيعوا كبشر أن يتحملوا عقابه؟ فقتلهم حتى لا يفسدوا نظام الكوكب، بالطبع أستطيع تخيل ماذا تمنوا مال كثير ومال أكثر، لا يوجد من يملك بالفعل مالًا لا يعد ويحصى ملايين وبلايين وأصفار في الأرصدة، لو جلسنا أنا وأنت ما استطعنا قراءتها؟ إذًا يوجد من يستطيع تحمل حمل كل هذا العبء من المال هناك من يستطيع شراء كل شيء تقع عليه عينه، فلما يقتل هذا الفتى شخصًا تمنى المال مثلًا؟ اتعتقد أن فقيرًا اغتنى؛ ليصبح خطرًا؟ ألم تسمع يومًا عن غني شرير يستعبد الناس، إذا ما كان الضرر في زيادة الأثرياء الفاسدين واحد آخر؟ لا ضرر في نظري من هذا، ماذا عنك؟ هل قتل من تمنى المال فقط؟ هل من تمنى مثلًا منزلًا أكبر قتل أيضًا؟ هل هذه

بحق الجحيم جريمة، شخص أراد غرفة أكبر لنفسه مكانًا أوسع؟ أكانت هذه خطيئة ليقتل؟ هل إذا حصلت على غرفة أكبر كان ليفسد نفسي؟ هل سوف أصير شخصًا ساديًّا بتلك المساحة لا أدري؟ هل من تمنى الحب قتل؟ هل من أراد مثلًا فتاة يحبها فتاة حسناء سمراء ذات ثغر جميل خطأ؟ هل حبها لي وحبي لها لن يجعل مني شخصًا أفضل؟ سمعت أن الحب يجعلك شخصًا أفضل لا أسوأ؟ هل أيضًا من تمنى مثلًا شيئًا بسيطًا مثل، معبئ باللحم وخيار مخلل شورما مثلًا، ورغم بلطبع عدم وجودها بهذا الزمان، لكن أكانت وجبة جيدة حلم يستحق القتل لأجله؟! هل إنجاب طفل مثلًا كان ليجعلني وحشًا؟! أتساءل هل كان هذا الفتى ملاكًا أم شيطانًا أكان جيدًا طيبًا، أم سيئًا؟ أكان يفرق إن كان ملاكًا طاهرًا مُنَزَّلًا أو شيطانًا نجسًا، إن كان سيحقق أمانيك؟ في رأيي الشخصي فقط حتى هذا الأحمق الذي طلب السعادة الأبادية قتله هذا الشبيء أتدري لماذا؟ أعتقد رغم طبعًا عدم وجود تلك الأشياء، ولكن لا تأتيك أبدًا سعادة كاملة، ما خلق هذا الشخص صدقني أنا عجوز وأعرف هذا، ولكن ما كان في مقدارك فعله مهما كانت ظروفك الخاصة من فقر في صحتك في مالك في ولدك في حبك في وحدتك في أي ظروف كانت، بمقدورك أن تكون أكثر فقير حظًا قد تمتلك العالم بفقرك والغني بما أنت فقير فيه كان ليحسدك على غناك وفقره، أزالت ذلك الحاجز البشري الذي وضعناه نحن، لنميز عن بعضنا بعضًا به، فما يفرقك ولنتحدث عن المال مثلًا، ما كان يفرقك أنت الذي تمشي ساعة يوميًا لمنزلك بحي شعبي وتقفز فوق المجارير وتركض خوفًا من كلاب الحي وتصعد ذلك السلم المتهالك إلى رائحة الفلافل في منزلك الذي يكون في نظر الناس وحتى نظرك ما هو إلا نتيجة

لاغتصاب العالم حياتك بالذات. وما يفرقك عن إن كنت أنت وسيمًا ذا سيارة لا أعرف ذات اثني وعشرين محركًا حتى وكانت لتكون مطلية بالذهب وماء الفضة وقصر ما كنت لتحصى غرفة وتأكل ما يحلو لك من مطعمك الخاص بجوارك فتاة جميلة نعم، إذا وضعت نظاراتك البشرية، كنت لترى ذا المال سعيدًا جدًا، ولكن إن نزعت تلك النظارة، لكنت ترى أنك هو في الحالتين تصل بيتك تبحث عن مكان يتسع لجسدك لتتكور به وتنام نعم نعم لا تقل مجنون كان لا يفرق معي نوع السرير، بالطبع كان ليهمك أن تنام على سرير ذي ريش نعام، بدلًا من القطن، اللعنة عليك صديقي، أخبرتك اترك نظاراتك وانظر للأشياء من دونها كنت لتنام على الريش فترتاح حتى تسقط في حفرة النوم، فإذا نمت، لن تعرف، إن كنت نائمًا على ريش نعام أم مساميرًا ١٠ سم وصدقني الأحلام لا تفرق بين فقير وغني، لن تجعلك ريشة النعامة ذا حلم جميل، بالعاكس، قد تصيبك دعوة بعد أن نامت المسكينة وهي عارية المؤخرة لتنام على ريشها أنت، أوه أكانت تشعر أن أكلت فراخًا ولحمًا، أنك أحسن حال؟ أخبرتك مرارًا اترك تلك النظارة جربها أنت واحضر سندوتيش من الفلافل وضع عليه الطحينة وقطعة طماطم وخس من فضلك احضر لي سندويتش معك، لا تكن بخيلًا وتغدى بالهنا والشفة ثم ارقع نفسك كوبًا من الشاي وافعل كما فعل فاروق واتفرج على التلفاز أو لا حقًا؟ ليس لديك تلفاز؟! حسنًا اخرج للبلكونة للسطوح اجلس على السلم عاكس بنت الجيران، افعل ما يحلو لك. ثم لنجرب يومًا آخر الكفتة واللحم والفراخ وبالطبع. اعزمني معاك فعيب تزكرني بالفلافل وباللحم لا، نعم غبي أنا؟ لننظر بدون النظارة كنت لتأكل اللحم والأسكلوب والكفتة وتلك الأصناف ذات

الأسماء المعقدة ثم تذهب للتتابع هذا بكأس نبيذ أو ترقع واحد أي حاجة حرام، ثم تلعب بليلاردو أو متش جولف أو أين يكن هل بعد أن امتلأت معدتك بالفلافل والمخلل أو الطرشي والشاي وبرتقالة لزوم التحلية، كانت معدتك لتخبرك يا أحمق أين اللحم؟ أنا جوعانة بالطبع لا إلا إذا كنت رجلًا دينيًا، يعني عينك فرغة وبطنك بروحين، هل كانت معدتك وإن كنت متغدي إسكلوب وكافيار تعاير معدتك الفقيرة؟ وتخبرها أنها ليست ذات مستوى أو أنها ممتلئة بطريقة مش ديلكاة أو معدة مش محترمة أكان بنكرياسك الغني يحتقر بنكرياسك الفقير أكنت مؤخرتك وآسف لتخرج بدل من الفضالات فضة وذهب بدل غازات؟ إن كنت غنيًا وأكلت ما ذكرناه وفقيرًا وما ذكرناه وكنت فقيرًا، لكن تعاكس بنت الجيران بذمة، فهي تحبك وتراك العالم وغني ولا تدري كيف تكون سعيدًا، فقد استنفدت طاقتك في محاولة تخفيف وزنك بالجيم أو حتى لا كنت غنيًا رشيقًا، أنت وذا سيكس باكس وتمتلك أيضًا فتاة جميلة، ولكنك كنت تؤرق لأن تخاف زوال ثرووك، أو حتى لديك صداع أكان يفيدك الكباب؟ سوف أمشي معك كل الطريق نعم، هناك غني لديه كل هذا ولديه كل شيء وسعيد ولا يؤرق ولا يخشى على ثروته ولا يهمه الكباب ولا يأكل مثلك فلافل ويضحك ولا يعاني أمراضًا، وأنت تعاني حين تنحني لتلبس حذاءك، صدقني إذا خلعت نظارتك مجددًا، لسوف تجده مثلك تمامًا، سواء عراة مساكين. لديه شيء يحزنه ولك شيء يحزنك، ولكنك رأفت بعقلك المسكين ما كنت تعرف هذا. إن كنتم أنتم بالأساس أسوياء، إن كنتم أنت وهو تندرجون تحت مسمى إنسان عاقل، فبالطبع لن يفيدك المال أو عدمه، سوف تجد أنكم بالنهاية أسوياء في كل شيء،

ولكن بطريقة ما تخفي عنك وأنت كنت كالبعير تحمل أسفارًا، فما الفرق عندها حقًا؟ بين حمار ببردعة دهب وحمار ببردة خيش وأما عن بطل قصتنا ذلك الذي طلب السعادة، كان ليكون سعيدًا، إذا كان ليحاول وهو صياد أن يرى ما يجعله سعيدًا ويركض ساعيًا له، ولكنه فعل كما فعل غيره استجاب للفتى وأعطاه أمنية وأعتقد أنه يستحق أن يموت كغيره، فما نفعك، إن كنت دومًا حمارًا تركض وراء جزيرة لن تحصل عليها بالطريقة المعتادة، وهي مربوطة بذيلك يا أحمق أنا أخبرتك اقلع نظارتك الدنيوية البغيضة، ولا تخلط الأمور، فبالطبع ما كنا نتحدث عنه لا علاقة له برغبتك في أن تكون مليونير أو في تحسين حياتك، لا أعني أن تتوقف وترضى بحالك وتقول خلاص خليني كدة حمار فقير، كدة هتكون حمار فعلًا، لا لكن ما أعنيه ألا تبحث عن السعادة بالطريقة السهلة لا تقارن نفسك أبدًا بشخص، بحياته بما يملك بما وصل له، ليس هناك معيار لنجاحك ولا فشلك ما يقولونه غير صحيح. بإمكانك تحقيق ما تتمنى دومًا، ولكن لا تدخل سباقًا مع غيرك فتكون خاسرًا، ولا تعتقد أن إذا حصلت على ما لدى أحدهم، تكون سعيدًا هل فهمت شيئًا؟! والله يبدو عليك لم تفهم شيئًا لنعود لصيد السمك فبدأت معدتي تنذرني بالجوع يا ليت عندي معدتك، أولًا لم أصتد ولا سمكة وحان وقت الرحيل، فكما ترى بدأت السماء تصبح برتقالية، إنه المغرب بلطبع نشوى السمك أو نقلية هناك بهذا المطعم البسيط تعطيه السمك أو تطلب سمكًا كحالنا، فهما كمان مصتدوش وبالهنا والشفاء.

نعم ابقَ مستيقظًا، إن أردت خلال رحلة عودتنا، لكني سوف أغفو وأدع المغفلين يقودوا السيارة، بينما أستمتع بالتعسيلة ابقى صحوني لما نوصل.

الفصل الثالث

السباق والخيل

أنا نائم على سريري اليوم، لا أذكر كم يوم مر منذ أن ذهبنا لصيد السمك ولا آخر مرة فتحت المحل أي ساعة نحن؟ أوه إنها ال ١ مساءً على ساعتي حقير هو العجز في تلك النقطة تنام كالطفل الرضيع أو كما لو أن حياتك عبارة عن حلم كبير، أذكر الأحداث فيه بصعوبة، ولأول مرة، أشعر أني لست بطلًا لتلك الحكاية التي لدومًا ما كنت المستسلمين فيها تبًا لك صديقي العجوز، وتبًا لي أن استسلمت لك دون قتال. يا إلهي، لما هذا البرد والعتمة؟ لم أحب يومًا هذا الشعور بأني لم أستطع اللحاق بالدنيا وسبقتني الشمس كنت دومًا أحب أن أكون مستيقظًا في الغروب، لأثبت للكون أني هنا، عندما ينقلب، كنت أخاف أو أحزن عند الشروق والغروب، كان التغير نعم أحب التغير دومًا لكن امتزج عندي شعور ما بالأمل والخوف منهما، ماذا يحمل الصباح بعد الشروق؟ وماذا تحمل عتمة المساء؟ أترى أحب هذا السكون، ترى هذه الظلال وهذا الضوء الأحمر الخافت من إنارة الشارع مع ظل أوراق الشجر التي تتحرك، ترى ظلها بالسقف لننهض ولنرى ماذا في مقدورنا أن نمسك من فراشات الحياة، حسنًا أنا رجل معد لكل الحالات، إذا ما استيقظت في أي وقت، سوف أجد دومًا ما أفعل أعدد القهوة فكرة جيدة جدًا؟ أنت بالعشرين؟ تبدو شابًا أم أنك بالثلاثين أو بالأربعين؟ لا تقل بالخمسينات لا يهم ما زالت حيًا أعتقد؟؟ أتدري أنا شخص بعادتي قليل الكلام صدقني أحببت أن

أحدث فقط كي لا يكون عمري قد أهدر سدي لا أدري لعلي إن حدثتك الآن وذكرتني بعد موتي أو أثناء حياتي المديدة فتذكرت شيئًا حكيته لك أكون أنا ميت وراضيًا تمامًا. فما يخلد الإنسان سوى ما أثر به في حياة أحدهم قد أعطيك شيئًا ما ليس بالضرورة نصيحة ليس بالضرورة أن أمارس عليك لعبة كبار السن تلك" إني قد رأيت ما لم ترَ ولدي خبرة لن تحصل عليها إلا أن بلغت من العمر أرزله لا تصدقني وقتها ولا تصدق أي رجل عجوز" فهو رغم عمره المديد، فهو ليس بحكيم أو يملك ما لا تملك كل ما يتميز به عنك هو أن أمه وأباه قررا أن يلقيان به هنا قبل أن يفكر جدك وجدتك في الزواج أو، والدك في تحديد الحسناء التي ترضي غروره، والدتك في تحديد من هو الشاب الذي يشبه هذا في التلفاز وما إلى ذلك. العجوز لن يعطيك دومًا خبرة مفيدة أكثر من أنه سوف يسرد عليك كيف كان بطلًا في قصته مثلك لن يفيدك بما لم يمره به، نحن البشر نحب التعقيد نحب أن نبدو أبطالًا صدقني أو لا فلا فرق لدي، لكن قد يكون طفلًا ذا عشرة أعوام أكثر مني أنا ذا السبعين ربيعًا خبرة ومعرفة يا لي من غبي ما الخبرة؟ من وضع هذا المصطلح ليقيس ما مر به مرء أهكذا نكافئ بعضنا؟ في العمل، تحتاج أن تكون ذا خبرة في الحياة ذا خبرة، أتعلم؟ لم أحب يومًا تلك المصطلحات العقيمة أريد أن أقول إن طفلًا صغيرًا قد يكون رأى وعاش ما لم يتمكن أحمق سريري مثلي رؤيته. قد تكون أقوى من شاب في العشرينات طفلة صغيرة قُتِلَت أمها أمامها بعد أن اِغتُصِبت هي وأمها وأبوها ودك بيتها والحي، حتى عصفور في السماء كان ليشهد أنها ذات خبرة عني، قد يكون شابًا قرأ جملة جعلت منه إنسانًا أو حيوانًا حتى أو غيرت فيه اتجاهًا يصبح أكثر خبرة، صدقني، العمر ما

هو إلا رقم تقاس به مقدار ما أهدرت أعتقد أن من وضعه هو من وضع أيضًا مقاييس العبودية من ميز أبيض عن أسود الطويل والقصير الجميل والقبيح، أعرف بلطبع أن الله وضع الزمان فكيف لك أن تنكر وجوده؟ قولتلك قبل كدة اقلع نظارتك الدنياوية وتعالة كلمني وجود الزمان شيء نقيس عليه عمر وقت فترة زمانية ليس بعيب، العيب على من وضعه بصيغة التميز، فما ميزتي في عجزي غير تبولي بصعوبة مضغى بصعوبة يوميًا تزايد تجاعيد وجهي اقترابي من خط النهاية المحتوم على كل العبور إنا قياس الحياة ليس بالعمر ما خبرت رجلًا جلس للسن السبعين أمام التلفاز لم يغامر لم يحب لم يخرج يومًا من صندوقه الصغير.؟ سوف أخبرك بخدعة نقوم بها نحن البشر لا راحة، عقولنا الصغيرة سوف أخبرك بوجهة نظري، لا تخف، لكن دائمًا ما كنت ببص للعجوز وأنا أصغر من كدة إن هو راجل طيب صالح ما من عجوز غير صالح تلك فائدة وجود الزمان تذكيرك، فنحن بعد أن نذكر أن النهاية قاربت وأن عظامك القوية باتت هشة وعقلك ما عاد يستقبل جديدًا ولا يحافظ ما هو قديم بالأساس تبدأ بالتحول من هذا الوحش الكاسر إلى ما أسميه خيل الحكومة العجوز، فتبدأ الأمراض بضرب جسده المغرور ما عاد يستطيع الركض بالفارس، ما عاد يقوى على الوقوف شامخًا، لكن يكلف الحياة أكثر مما يعطيها يكلف ميزانية في أكله وعلاجه والاهتمام به، ولكن ما عاد يصلح للمشي في تشريفة ولا حتى وقوف محترم، فتكون تكلفة قتله بلرصاصًا أرخص من علاجه. نحن تنطبق علينا تلك النظرية أيضًا يبدأ العجوز في البشر برؤية اقتراب رصاصة الرحمة منه، فيبدأ بالتحول من خيل أصيل يركض يصدر شرارًا من ركضه يستطيع رفس ماسك البندقية مطلق

الرصاص حتى الرصاصة، ما كنت تخيفه، يتحول إلى كتلة للذباب تأكلها، لن تهرب الآن يا عجوز، لن تهرب إلى أي مكان تلك المرة هكذا نحن العجائز أو معظمنا بالطبع هناك نوع آخر أخبرك عنه، ولكن خلينا في الخيل بتاع الحكومة كنا بشبابنا معشر البشر أغلبنا كما أخبرك بقوتنا وشبابنا نركض ضاربين الأرض نضرب الأرض نسقوي على الأضعف، نرى في نفسنا خيل تشريفة محترم لا أحد لا أحد مافيش بجد يعني، حد أحسن مني أنا صح أنا الدائم وفي نفس الوقت أنا المظلوم، إن لم أكن بطلًا لا أُخطئ أنا، نحن وأغلبنا كما قلت ما كنا نرى إلا أننا خيل رابح دومًا، تعرف لا يوجد شخص لا يقدس نفسه وإن كان لا يخبرك بذلك، أوه أنا أعرف أني أكثر عليك الحديث، أثقل كاهلك بكلام قد لا يبدو ذا معنى، إذا ما سمعته في يومك العادي. صدقني حتى تلك لا تهمني كل ما يهمني أني أريد أن أتحدث لمرة في حياتي أتحدث بلا قيد بلا مقابل، أتحدث معك من باب الحديث إن أعجبك سمعته أو لن يعجبك فلا مشكلة، كنت مثلك فكيف ألومك على ما كنت أفعله في الماضي حتى يومنا هذا أحب أن أتذوق كل شيء حتى السيئ الطعم، أشعر أن الطعم السيئ كالطعم الحلو، لا غنى عن القبح والجمال لا غنى عن الملح والسكر لدومًا ما ألقي بنفسي في أحضان الحياة، لا يهمني ما أواجهه حتى بفترات السوء، كنت أستشعر طعم الحياة، أردت أن أشعر أني بشر لو ليوم، لست ترسًا في مكينة سيئة الصنع فقط. أن تكون بشرًا في هذا العالم، يعني أن عليك أن تعرف سبب وجودك لما أنت هنا لما بالذات أنت ولما أنت فقط لما أنا بالذات؟ أنا الذي كنت أرى نفسي شخصًا يستحق حياة جميلة ما كنت أتوقع وجودي هنا على فراش وحيد بأس. وجدت نفسي هنا في مستنقع كيف وأنا الذي

دومًا ما كنت أرى في نفسي كما أخبرتك خيلًا أصيلًا، أهذه نهايتي؟ أترك لتهمني البرد والزهيمر، كيف هذا؟ كنت دومًا ما تراوضني فكرة أني لن أعيش مثلما يعيش الناس لم أرَ يومًا ما حياة طبيعية كتلك الحياة، التي وأكون فها كما أخبرتك كالخيل لن تكون أكثر من مجرد خيل سباق أحمق تركض وتركض وتركض دون أن تدري لما؟ لا تعرف لما ركض وراء اللاشيء أو وراء العلف والسكر، وحينما تشيخ يطلقون عليك طلقة رحمة ترديك قتيلًا دون أن تكون فهمت لما عشت ولما قتلت ما كان ذنبك من البداية؟ لقد أفنيت عمري لمعرفة ما سبب وجودك. صدقني كما أخبرتك أنا لست زاهدًا ولم أكن متعبدًا متصوفًا قط، لست ذلك الذي أبتعد عن البشر، إنما كانت مشكلتي منذ البداية هو لماذا أو ماذا علي أن أفعل لما أنا هنا لما أنا محمد؟ لما حياتي حياتي لما أنا ذاتي لما أرى ما أرى ولما أواجه تلك الأشياء تحديدًا لم؟ وإن كنت مخيرًا، فما اختارت وإن كنت أنا مسيرًا، فإلى ماذا أسير؟ لما هل حقًا أنا مجرد قارب ورقي في طبق يدور دون أن يدري لما أو يقنع نفسه أن دورانه في الطبق هو الهدف الأسمى؟ أن أكون قاربًا في طبق يسبح لم تقنعني يومًا تلك الأفكار الحصان في السباق كما أخبرتك الذي يركض وكل آماله قطعة السكر في النهاية، كل ما يهمه السكر والفوز بما أخبره به ممطتيه أو فارسه اركض حصاني وسوف أعطيك سكرًا اركض وستفوز، وهناك نوع آخر هو ذلك الذي اتبع الروتين ليس بحثًا عن السكر ولا الفوز، إنما ضعفت قوته أنهكوه وتكالبوا عليه، فربطوه في النهاية ووضعوا على رأسه حاجب العينين، فلا ينظر سوى للأمام للطريق الذي أمامه فقط

أنت فرس سباق بالطبع، منذ أن وضع أحدهم اللجام على وجهك. كنت صغيرًا وضعوا لجامًا لي دام على وجههي ٢٥ عامًا من عمري كنت قبلها مهرًا صغيرًا يلعب الفراشات تولد أنت حر وأنا حر، ولكن من قبلك في السباق لا يخبرونك سوى ما يعرفون وهو حلبة السباق، أنا صغير حتى الصغير منا عزيزي له سباق. أنا أريد الحرية لا السباق؟ يا لك من أحمق، هل تعرف أكثر مما نعرف؟ ها هو لجامك وها هو سباقك سباقي الأول استغرق مني خمسة وعشرين عامًا يا صديقي، أتسابق أنا مربوط العينين، أنظر للأمام فقط لم أتمرن قط؛ لأكون خيل سباق؟ لا يهم سوف تتعلم ركضة وتعتاد ضرب الفارس، في النهاية، خلعوا عني اللجام وكل من كان بلسباق أيضًا نحن أحرار؟ نعم أنتم أحرار ما لم تردوا السكر بالطبع حسنًا. لا يهم أليس كذلك؟ تحدق بالجميع، فتجد الكل يركض مجددًا هيا يا جماعة، شالوا عنا الغطاء خلاص رجعنا أحرار هكذا ظننت أنا عزيزي كل ما فعلوه أنهم خلعوا عنا الغطاء في حظيرة كبيرة قليلًا ليس بها أسوار عالية ترى ما خلف الحظيرة من أشجار وحياة جميلة كالتي تتمناها، ولكن لا لن تصل هناك هذا المكان غابة كبيرة بها الوحوش وأنت فرس سباق كيف لك أن تعيش بالخارج، اعتدت الركض وراء السكر كيف تتركه، عندها، انتصب الجميع مجددًا وبدأ بالركض والبحث عن غطاء للرأس جديد يناسب حجمه يعطوك غطاءً الرأس بكل سهولة وكل مرة السابقة ومسبار سباق جديد ذا حجم أكبر، لا تتساءل كثيرًا لما تركض القواعد ما زالت لم تتغير كثيرًا يعطونك في خط البداية دليلًا جديدًا يحمل نفس المعاني القديمة، تركض للسكر قد تقف أيضًا للحمام ساخن أعدك إن ركضت أكثر، تحصل على لجام من الذهب غطاءً ملون تحصل على أجمل مهرة؛

لتكون شريكاتك في التوقفات الصغيرة بين الفواصل هل أخبرتك عن الإسطبل؟ اعذرني إنه يحميك من الشتاء القارس ومكيف أيضًا بالحر كل هذا والمجد، أيضًا لك الحرية في الاختيار؟؟ ولكن إن رفضت، فلا تنتظر شيئًا سوف تترك للغابة والذئاب، إن كنت تريدها فاذهب ولكن الباب مفتوح دومًا هنا نحتاج فرسًا لسباق ما، سوف نجد دومًا ما يناسبك، تجد هذا السباق في كل الإمكان في كل مكان تجده هيا هيا، أخبرتك منذ وقت مضى ألا تصغر الأمور معي، فلست أتحدث عن شيء معين فقط ولأجل هذا. ولأن عارف مخك صغير على التوضيح كثيرًا، وتذكر دومًا وطول فترة تواجدنا معًا، لا ترتدِ نظارتك الدنيوية أبدًا لا تضع تلك المظلة حول عقلك، فنكون خسرنا وقتنا أنا وأنت، لا أريد إقناعك صدقني أيضًا لا أريدك أن تقتنع بما أحدثك به ولا أريدك أن تسبني وتلعنني كل ما أخبرك به ما هو إلا محض سخافات في رأسي العجوز المخوخ، أعلم أعلم هناك سباقات يخوضها المرء مرغمًا، نعم أعرف كيف لأب لأولاد ألا يركض ليل نهار لكي يطعمهم؟ أتقول أيها العجوز إن أبًا لأولاد يترك عمله راكضًا وراء وهم الحرية ذاك؟ يترك طفله الذي يريد الحلوى جائعًا، يترك أطفاله عريًا لأجل فكرتك؟ تريد أنت ذات ٢٠ عامًا أن تترك وظيفتها إلى بتجيب لها فلوس تساعد بها والدها المسكين الي جوز إخوتها بالزق والدين؟ الي والدتها متوفية ماشلتلهاش جهاز "الجهاز للعروسة وآسف لو خرجتك من المود ده حجات مالهاش لزوم عند أمثالي لكن للناس مهمة من بطانيات وأواني وأطباق وصيني للنيش" عاوزها يجيلها عريس كويس وهي مش شغالة وعندها شخصية في شغلها؟ إنت عجوز مجنون طيب يا سيدي دول مقدور عليهم! شاب متخرج جديد تاني يوم استلام

شهادته سمع الكلام ده شوف يا ابني أنا عمري ما بخلت عليك وربيتك أحسن تربية وأعتقد كدة بريت زمتي قدام ربنا منك جه دورك تشقى في الحياة وتتحمل مسؤوليتك ها هيعمل إيه؟ طيب مطلقة وعندها أولاد متضطرة غصب عنها تعمل أي شيء للحفاظ على ولادها حتى لو اتضطرت تاكل تراب الأرض هتعمل إيه يا عجوز؟ طيب شخص مديون بفلوس هيردها إزاي بلحرية؟ صدقني أنا عارف كل ده ماكنش هناك داعي تفكر في الكلمتين دول وليس كل سباق سباقًا للمال، ولكن صدقني يأتي على الجميع أنا وأنت وكل هؤلاء لحظات فارقة لحظات للاختيار هناك وقت في جميع السباقات لحظة تقرر فيها أن تنهي أنت هذا الركض الطويل، أنت على قد إجبارك لديك اختيار قليلون هم من يختارون صدقني قليل جدًا منا نحن يجيد التوقف، قليل منا من يستطيع أن يعترض على غطاء رأسه قليلون هم الخيول الجامحة،قليلين هم من يستطيعون أن يثوروا على فرسانهم، تستطيع أن تحصيهم زي ما بنقول على صوابع الإيد، ليس الجميع أتيحت له فرصة التمرد وخلع الغطاء عن عينيه والركض خارج الحلبة الطويلة، هناك من هو أكثر من مجرد خيل للسباق، إنه مربوط يجر عربة مليئة بالجرحى من خيول أصيبت، أو كما قلت هناك أب لأطفال أن نزع الغطاء وركض خلف حلم فلسفي كحلمي، كانت حلاقي العالم مليئة بالمهور الجوعى، ولكني أخبرتك أنا وإن كنت تتفق معي أو تختلف، تأتي لك الفرصة الشجاعة تلك لتختار دومًا بين الركض في السباق وبين التوقف لتخرج للغابة بالطبع الغابة، بالخارج ليست فقط مجرد شمس مشرقة ولا بقوس قزح تلوح في الأفق وتحمل السلام الدائم الأبدي كالقصص والروايات الحالمة، كتلك التي كانت أمهاتنا وآباؤنا يقرئونها لنا

في الصغر ولن تجد مأوى معدًا مسبقًا ولن تجد تلك ما تأكل بسهولة، قد تموت من أول ليلة، بسبب ذئب جائع قد تضيع وتسقط في وادي سحيق، ولكن أعتقد أن هكذا يصنع الأبطال هكذا يصنع العظماء، لن أعدك أن الهروب هو طريق النجاة والحصول على ما تريد لن أعدك أنك إن قررت الخروج من السباق، أن تحصل على ما تمنيته وأنت بداخلها، إنما أعدك أنك سوف ترى الحياة أفضل سوف ترى نفسك أقوى من ذي قبل، سوف تكون أنت هو أنت لن تكون سجينًا وسوف تعرف رائحة الهواء النقي في الخارج، سوف تعرف قيمة الحياة، سوف تحبها، رغم الألم والأشواك الوحوش، لكنك حر تكون ما تكون وقت ما تريد أن تكون، وعندها، تعرف أنه حتى وإن سقطت عن جرف وإن خسرت أن رحلتك تلك كانت هي معنى الحياة وصدقني نهاية الغابة أو نهاية رحلتك الحرة، سوف تعرف، لكني اخترت هذا الطريق الخطير الطريق المجهول دومًا ما كنت أختاره لا أدري أتعرف حين تكون عطشًا وترى ماءً كنت دومًا ما أريد أن أكتشف أن أرى طريقًا جديدًا، كأن التمرد جزء من روحي لا أستطيع التخلي عنه، كنت أثق به كثقة طفل بيد أمه حتى إن جذبته لتسقطه في حفرة ما كان ليشك بأنها تريد قتله، كنت أريد طريقًا آخر غير زحام السباقات والسكر أنا أكره السكر أكره الذل أكره أن أربط، كرهت أن تخبرني الطريق كرهت أن تملي علي الدنيا شيئًا أيمكنك قتال الدنيا؟ أيمكنك أن تسير في المجهول؟ تركض وتركض حتى تجد يومًا نفسك أول فرس في السباق وتبدأ مجددًا بلسباق الذي يليه، وهكذا دومًا وأبدًا أخبرتك أني لا أجبرك؟ صدقني لست هنا لأخبرك كيف تعيش أو لأجبرك ولست هنا لأخبرك كيف تحيى حياتك ولست أخبرك أني

تصرفت بالطريقة الصحيحة، حتى تلك الحكاية عن الأحصنة هي ليست سوى ما رأيته، فلا تقتنع إن لم تحب كل الأمر، هو مجرد ثرثرة من رجل عجوز بالنهاية تخاريف هلاوس لا أدري بالنهاية تشيح نظرك يمينًا ويسارًا، ترى الجميع يا للهول لما هم متسخون هكذا لما كل تلك الجروح تغطينا هل أيضًا أنا مغطى بالجروح مثلهم؟ لكن بلا ضمادات فالغابة لن تعطيك الضمادات حتى بالسباق، لا يوزعون ضمادات؟ هل وجدت يومًا السكر الذي وعدت به منهم؟ هل وصلت ورأيت ما يقدمونه لأول السباق؟ هل رأيت أكثر من مجرد مؤخرات لفرس مثلك هل وجدت يومًا أكثر من مجرد الغبار هل نظرت يمينك؟ هل كسرت يومًا قيدًا؟ هل أسقطت الفارس واعترضت لو لمرة؟ هل اخترت شيئًا بمحظ إرادتك؟ لم يجيبني أحدهم يومًا عن سؤالي منذ أول لجام وُضِع حول رأسي لما أركض؟ لماذا يتدافع الجميع في اتجاه ما يعرفون فقط لما لا تركض للخارج؟ بالنهاية حتى الأحصنة تموت يومًا لما لا أستطيع أن أموت بالخارج؟ وأتعفن أو تأكلني الذئب بدل أن أدهس من هنا من ركض إخواتي وأخواتي؟ أليس الموت حرًا أجمل؟

والآن اتركني لأريح ظهري ولنكمل حديثنا بالصباح

الفصل الرابع

نهاية السلام وبداية الحرب.

هل نحن بالصباح أم المساء لما لا يجبني أحدهم حتى أنت صامت طول الوقت تسمعني

فقط لكنك لا تجبني على شيء من تساؤلاتي هل نحن أصدقاء هل أعرفك؟ هل هذا بيتي، أم بيتك؟ هل أنا الضيف أم أنت؟

لما أنت دومًا معي ومحدق بي هكذا حتى بالسرير يا إلهي على أن أنهض من السرير لما أنا خائف هذا الحد من وحدتي ومنك؟

لا أتذكر أي شيء عن الأمس، ماذا حدث بالأمس؟

علي فتح الشباك بسرعة قبل أن أفقد صوابي أوه هذا المساء مطر؟

هل أعيش وحدي هنا؟ نحن فقط أنا وأنت؟ بأي مدينة نسكن بأي حي؟ حسنًا ابقَ صامتًا لا تجب، فلا أحتاج جوابك، أبحث عن شيء يذكرني بالطبع أين أضع الأشياء هنا هل تعرف؟ لنقف أمام المرأة المرأة بالتسريحة لما أبدو أشيب منذ آخر مرة أذكر أني استيقظت بالحمام! أنا أستمر في العجز سريعًا المكان هنا قذر من يعيش هنا غيرنا؟ لم تفدني منذ استيقظت أين الناس؟ أليس هناك أحد؟؟ كل الأشياء مبعثرة ولا ضوء؟ أتمنى ألا يكون هذا حقيقيًا، إنه حلم أكيد. ما كل هذا ما هذا الماء الأرض غارقة بالماء أي أحمق هذا يترك الشباك مفتوح هكذا؟؟ بالطبع سوف تدخل القوارض والحشارات اقفل معايا الشباك ده في صحيح شباك قدامي أهو أكيد لي جيران؟؟ قد يعرفون عني شيئًا لسة بدري صح إحنا لسة الفجر قلة ذوق

أن أذهب لأسألهم من أنا بهذا الوقت حتى قد يكون جنونًا؟ أقولك هروح أين صباتي في هذا الجحيم لما الضوء لا يعمل لما لا شيء مفيد هنا ومن الأنقاض، أوه الباب موصد على إيجاد المفتاح في العتمة، كيف هذا بحق الجحيم؟؟ ها هو يبدو أن أحدهم وضع شيئًا أخيرًا بمكانه هذا مصباح في عليقة للمفتيح وراء الباب وها هي سلسلة المفاتيح.

مفاتيح كثيرة كما ترى، أنا بدأت أرتعب هل هذا حلم مرعب؟ ها نحن فتحنا الباب أخيرًا

جميل الجيران ليسوا بعيدين عني، نعم تذكرت جاري الحج حسن سوف أسأله ما بال الكهرباء ولا مخبطش عليا أنا شكلي نايم من أيام

لما كل هذه الأكوام من التراب الا يعيش أحد فين حسن؟ الباب مفتوح سوف أدخل كما ترى لم يختلف المنظر عما كان بشقتي الأولى، شبابيك مفتوحة كأن حربًا كانت هنا، كل شيء مبعثر حالتي مزرية حافي القدم منظري فظيع جدًا. وما هذا المكان المقرف لما هذا البيت عتيق هكذا وتغمره القمامة ولا ضوء به سوف أعود لهذا الجحيم لعلي أجد شيئًا أستدل منه بالداخل على أي شيء على أن أجد شيئًا.

لا. لا أبكي؟ على ماذا على شيء لا أذكره من الأساس كيف هذا؟ كل ما هنالك حزين أن يكون هذا حالي، هل حقًا أنا ميت؟

كيف أكون ميت وأنا أشعر بالحياة، ولكني ما عدت أذكر كيف أكون على قيد الحياة؟

أعتقد هذا المكان الوحيد الذي أعرفه حتى الآن، أي ذهب الناس؟

لنبدأ بلبحث عن أي شيء يجعلني أتذكر حسنًا أهدأ.

منذ متى وأنا هنا وحيد هل تعرف شيئًا؟

أنا لم أكن قط مريضًا بالنسيان أو الزهيمر لم أعانها قط، ولكني لا أذكر شيئًا.

أنا حي لم أمت عجوزًا، لكن حي وحيد، ولكن حي هذا كل ما أعرف ولنبدأ من هنا لنقوم بجولة في البيت، لعلي أذكر المطبخ مليءً بالصحون المتسخة والعفن في كل مكان يبدو أني شخص مهمل لا بأس أخير هناك أمل ماءً هناك ماء أنا عطش حتى كأن الماء ينزل في حلقي لأول مرة حسنًا لا شيء صالح هنا للأكل ولا للحياة. كل شيء خرب بهذا المكان ومدمر.

سوف أجلس قليلًا فأنا متعب جدًا قدماي لا تحملانني آه يا رأسي كل جسدي يشتكي تعرف؟ أشعر أن هناك وميضًا في رأسي عن أشياء بدأت أتذكر فعلًا أمي أبي أخواتي أصدقاء المدرسة، أذكر أني طفل صغير جالس على تربيزة يأكل البيض بالبسطرمة على الفطار بجوار أمه وأخته الكبرى قبل أن تذهب هي للمدرسة وأبدأ اللعب الشمس ساطعة وأبي يتحدث عن كيفية سد ثقب بالحائط تأخذه النملات مسكنًا لها، أين أنتم الآن؟

كل الأشياء تغيرت حتى قدماي أذكر أنهما كانا بحالة أفضل يستحيل أن يكون أحد حي غيري بهذا المنزل تكدس من التراب لا آثار عليه باب العمارة الحديد نعم أذكره صدأ والعناكب تغطية لا أستطيع فتحه حتة بالكاد هذه الفتحة تكفني لآخر هيا دفعة صغيرة بعد؟

أنا خائف، ولكن هيا لننهي هذا الآن الشارع نعم إنه كما هو وكما أذكره بيتنا هنا بطريق مسدود آخره مساكن أخرى والشارع الرئيس هناك كل العمارات والمنازل مفتوحة أو مغلقة تغطيها الأتربة والعنكبوتات لا ضوء

مفتوح ولا صوت حياة السيارات متوقفة الإطارات كلها مفرغة المكان مهجور كليًا لا ضوء في الشوارع ولا أي علامات للحياة

لنضيء الكشاف ولنبحث عن أحد أو أي شيء؟

هل أعود للمنزل إنه المكان الوحيد الذي أذكره ولنبحث في العمارة لنفتش الشقق عن أي شيء مفيد

الدور الأول كانت تسكنه السيدة ماري عجوزة مثلي وحيدة الباب مفتوح والحال نفس الحال كل شيء مبعثر هل تخاف العتمة؟ أو تخاف من الأشباح؟

أنا أخاف، ولكن الخوف يدفعني للحياة لنستمر في البحث.

إيه رايح فين؟ يا لك من وغد تبقى معي في النور وفي العتمة والبحث تهرب يا لك من جبان

أهلًا تظهر فقط وقت الأكل والدفء ككل الناس أنتم تظهرون وقت الرخاء ووقت الشدة، الجميع يركض كما ركضت أنت لا يهمني أنا لا أخاف العتمة ولا أحتاج صحبتك من الأساس ولكن مجرد الحديث معك ينفعني بحثت بالأمس في جميع الشقق وكل الأدوار لم أجد أي إنسان، هذه حصيلة بحثي معلبات والكثير من الشموع لا بأس بها وبعض العصير وجدت زجاجة جاز في بلكونة ما كان صحبها وأشكره على ما يبدو بيستخدمها لشيء ما

كثير من الورق كما ترى والصور لعلي أعرف أين الناس وأشعل الخشب هنا في الصحن الحديدي استخدمت الصالون أخيرًا في شيء مفيد وهو إشعال النار، وها أنا بدأت أتصفح ما وجدت

صور وصور والكثير من الصور والإهداآت هذه من رحلة كذا ودي حج مبرور وذنب مغفور

رسائل وفواتير ولا شيء آخر أعجبتني فقط تلك الرسالة

يبدو أن أحدهم كتبها لابنته أسمع

إلى صغيرتي

قتلت طفلة نفسها ظنًا منها أنها زائدة على تلك الحياة ومات بعدها خمس كانوا مدمنين على ضحكتها في الصباح، كانت تقول لهم غدًا سوف يأتي بخير وإذ بيهم الغد يأتي على الفاجعة ماتت وردتان في شباكها لم يجدان من يحنو عليهما انطفى نور غرفتها وتقشر حائطها حزنًا من البرد بعد أن رقص فرحًا في دفء قلبها تمكنت الذئاب ذلك اليوم من الرقص على جثث غزالات كانت تطعمهم يومًا انطفئت نجمة في السماء كانت تنير لأنها تراها فتعزم أن تنير كل ليلة حتى تشعر بوجودها لم يشعر أحد بحثة الجدة التي لم تتناول طعامها لأن أحدًا ما اهتم بعدك بإطعامها ولا بتعفن جثتها، توقفت الموسيقى في الحي وانتشر البؤس على الوجوه ما عاد الشتاء ممتعًا ولا الصيف ذا لون جف الحبر على ورق الكتب التي لم تعدي كتابتها سهرنا خوفًا حتى الصباح، فلا أحد أشعل نور شوارعنا الليلة توقفت العصافير عن المجيء، فلا فتاة خبزك ولا ماءك يسقها، بالله عليك أنسحق أن نحرم وتحرم مدينتنا من عبير خيرك؟

فقط لأن يومًا ما لم تشعري أنكِ تستحقين الحياة؟

نسيت أن أحيطكِ بالعلم أنهم أزالوا مدينتنا، بعدما انطفأ فنارنا ورمونا بالقنابل، فمدينة كهذه لا تستحق الحياة.

يبدو أنه كان هناك إيبادة جماعية لمدينتنا، ولكن أين كنت أنا وقت الإبادة؟

صعبت عليهم مثلًا ولا كنت نائمًا فخافوا أن يصحوني؟

غريب كل شيء غريب حتى الطقس غريب مطر مستمر مشفتش زيه قبل كدة ورعد وبرق طول الوقت غفوت كثيرًا، ولكن كلما أستيقظ، أجد أني ما زلت في المساء ساعتي التي تعيد شحنها بالية ولا شيء يدل على الوقت الآن ليل طويل يمكن ولا علشان أنا لوحدي؟

-عمومًا إنت رجعت أهو وما دام الليل طويلًا واكلنا أحكيلك عن شيء خطر في ذهني؟

-عمرك سألت نفسك يومًا لما حياة شخص مهمة؟ لما حياتنا مهمة

لما كتلة مهملة من اللحم مثل أغلب البشر حياتهم مهمة؟

-ما سبب وجودي هنا؟

-أنا يا عم محمد العجوز ده لي الوحيد الي عايش هنا والي مصيري يبقى كدة؟

-أنا بشك إني من كثرة التفكير في إجابة منذ أن تركتني أصاب ذاكرتي العطب ولم أعد أذكر شيئًا

-بالطبع، أنا أعرف الرد المنطقي المريح، لكن بحق؟

لما أنا حياتي مهمة، أنا الي مش فاكر أي شيء غير بعض الذكريات لما أقاتل لفتح عيني؟ أصحو وأقوم باحثًا عن الطعام عن الماء عن الضوء لما كل هذا التشبث بالحياة؟

هل أنا أقاوم لألا أنقرض؟ أليس انقراضي نجاة لي من ألمي ونجاة للبشرية من صداعي وتساؤلاتي وحدتي؟

تفتكر لو كان هناك زر تضغط عليه فتفنى أكان يضغط عليه الكثيرون؟

إن كان لملائكة الموت مقر تذهب إليه مليء إرادتك هتروح تسلم روحك؟

إزاي تعرف إنك بلا وجهة ولا هدف؟

هل عدد من حولك يحكم هذا الأمر، كلما كنت محبوبًا من الناس يعني أن حياتك مهمة؟

هل أموالك أكلما امتلكت مالًا، كلما زادت أهميتك؟

أليس الموت راحة من الأفكار من الحياة؟

من الوحدة والتوقعات؟

هل أنا ملاك أم شيطان، رغم كل شيء؟

هل إن انتهى عمري الآن سوف أحمل إلى الجنة أو إلى النار؟

هل تحاسب بمقدار الأذى لنفسك، أم لمن حولك أم للعالم؟

هل تحاسب بمقدار ما أهدرت من العمر هباءً وكيف تعرف أنه هباءً؟

هل حسن نواياي يغني عني؟

أنا مش خايف الموت لا ولا أخاف الحياة، لكن لماذا وضعت كل هذه الخيارات؟

هل أنا حر في الاختيار وأحاسب أم أنا مجرد طفل في هذا العالم، كلما لمع شيء أحببته وجريت وراءه؟

أسئلة لا منطقية لشخص في هذه الظروف التعيسة، صحيح؟؟

هل إحنا هنا لأجل التكاثر والحب وأن نكون أشخص جيدًا يطيعون القانون والدين والأخلاق بس؟ أنا أؤمن أن في إله خالق ومش بميل لغير كدة أبدًا، مش من هؤلاء الفيلاسوفيين أو كنت بصدق العلم على الدين أبدًا، لكن لماذا تتركنا يا الله مع كل هذه الخيارات والمصاعب لما عجوز وحيد يجلس في الظلام لماذا؟

هل فكرت حقًا وبصدق هل أنت تستحق هذه الحياة هذا إن كنت حيًا؟

أليس عالمًا فذًا أو محررًا للعقول أحق بالحياة منك؟ ومني؟

كان ليصنع شيئًا من الخردة دي وينقذ العالم؟

لما يتوه عني عزرائيل يوميًا، أنا الذي لا أجيد شيئًا ولا أذكر شيئًا؟

أنا الذي لا أستطيع السيطرة على جسدي؟

تفتكر لو طلبوا منك تعطي عمرك لحد أكثر فائدة منك توافق؟

أنا؟ لا ماكنتش أقبل أبقى بكذب، لو وافقت وأعتقد الجميع يعتقد أنه يستحق الفرصة في الحياة مجتش عليا؟

حتى رغم أن جسدي لا يتحملاني، ما كنت لأترك حياتي لشخص تعرف من الجبان بالحياة؟

إنه شخص ميعرفش، شيء من ذلك كله شخص لا يعرف ولا يريد أن يعرف شخص زيي وحيد في كل هذا الكون الفسيح أنا وحيد لا أبناء لا عجوزة كنت مارست عليها ألعب الحب بشبابي، تمسك إيدي أو تدعي لي، لا يستحق الحياة، شخص ما يتخيل أن الحياة قاسية غير عادلة، إنه لا

يقدر على تغير شيء شخص يغلق باب نفسه عليه، لا يتعرض لضوء النهار ظنًا منه أنه مظلوم شخص استسلم للحزن للذكريات.

شخص ساخط على كل حاجة إزاي يشوف شيء جميل؟

شخص قاسي القلب قاسي الطبع شخص لا يفهم القلب شخص يظن أنه كغيره والسلام.

هو من لا يستحق الحياة، شخص تعود رؤية الوسخ دون مسحة عن أي شيء.

شخص فقط يفسد الأشياء ويشتكي ويلوم هو من لا يستحقها، شخص لا يعرف كيف يبتسم

شخص يبحث عن أحدهم ليحمله أخطاءه.

عارف إنه حكم قاسي مني من أنا لأوزع الحياة على البشر؟

إنه قمة التسلط مني، لكني لا أقصد بحق الله.

فقط أخبرك ما يدور برأسي كيف لشخص مثلي أن يعيش ويموت آخر ذو فكرة؟

كيف يموت الحر ويعيش الذليل؟

كيف يعيش من لا يحب أمرأة تحمل معه أفكاره اهتمامته حتى تحمل يده بثقة كيف تعيش من هو بلا حب مثلي؟ ويموت شخص ركض خلف نعشة الآلاف؟؟

لما يحاولون قتل الذي يحلم ولما يقدسون الرجل العادي،

إزاي يعيش عجوز لا ينسى الحزن وينسى الفرح ويموت طفل لم ينتهِ من لعبه؟

واحد كل حكاياته تتلخص عنه عن نفسه ذاته، كأن مافيش حد عايش غيرك.

أما أنا، فأستحق فرصة بردو طالما عشت ولسة مموتش أدور عليها لعل أكون استحققتها

أما أقوم أسخن باقي الأكل وأتعشى وأجهز لبكرا أول ما الشمس تطلع نخرج نشوف الناس فين.

الفصل الخامس

التاكسي والدكانة وقصة هبيل وقبيل

لا لم تحزر تلك المرة أيضًا أنا لست ميتًا لا أنا لم أستسلم بعد، لسة مش قادر أفتكر أي شيء حصل أتذكر الأشياء وأنساها سريعًا كأنها تركض بعقلي أنا مشوش بحق. آخر شيء فكره بوضوح يوم الصيد ومش عارف كأن كل شيء قبله وبعده مش موجود كأني أُمحى من الوجود مما حدث ولم وجدت رُوزنامَة لمعرفة التقويم تلك التي تخبرك التاريخ وتصنع لنفسها دور المصلح أو الفيلسوف ذات النصائح الكثيرة والتي أشك أن كاتبها أو صاحب فكرتها كان يعمل منها شيء بالأساس ولكن لا أعرف بأي عام نحن،

وأصبحت أكتب عليها يوميًا الأحداث حتى اتذكر.

ماذا أيضًا؟

كما ترى وده كل الي عرفته حتى الآن إن مش بس بيتنا والشارع هو الي مهجور من البشر بل كل شيء مهجور ومخرب ولكنه ليس بفعل حرب مثلًا مافيش آثار دمار حربية ولا جثث أنا وإنت فقط

أها بالمناسبة تلك السحب تغطي السماء طول الوقت في انتظار يوم الحساب لا أدري.

ما زلت أبحث في أكوام الأوراق، الآن انسى حتى أبسط الأشياء حتى أنني أقف هنا منذ فترة أمام الموقد كما ترى النار مشتعلة ولا أذكر ماذا كنت أفعل هل أكلت أم لم أأكل؟ على كل حال، انظر ماذا وجدت في بيتي

ألبوم مليء بالصور لا أذكر من هؤلاء حتى أنها أعراس وحفلات أعياد ميلاد وأنا حتى لست بأغلبها ولا أذكر أحدهم، كما ترى لدي أرقام هواتف عناوين وضمان السخان، صورة محل وناس بتتصور قدامه أعتقد أنا واحد من هؤلاء الشباب أو شيء من هذا القبيل هو نفس المحل يوم أن قابلتك آخر يوم أذكره ولكن لا أعرف شكلي بالماضي شيء غريب كيف للإنسان أن ينسى كيف كان شكله ولكن أرجح إنه أنا ده الطويل الي منخيره كبيرة ده، أفكر في الذهب هناك وأرى ما أستطيع أن أجد. لازم ألاقي خيط ما لازم أكون منتمي لشيء مؤكد لست مولود شيطاني؟ لنذهب ما دمت أذكر نعم لنستجمع قوانا ماذا علي التذكر؟! نعم الصورة للمحل، وأنا واقف رافع يدي وبوجه باسم أحمق وعليها العنوان وعلي أيضًا أن اتذكر المنزل حتى لا أضيع أو لن تسعفني الذكرى. حسنًا لنتحرك ها نحن ننزل إلى جحيم عبر السلم مجددًا، إنه لأسهل علي أن أقفز في بئر السلم على الأرض من أن أنزل الدرج هذا وبأس الدرج أنت وأيضًا وبأس الركب أنتِ.

- صوتي ليس عالٍ كالماضي لأصرخ طالب تاكسي

-ولكن على كل حال مافيش تاكسي

-على الاعتماد على نفسي بس صعب عليا أفتكر الشوارع لكن توكلنا على الله.

كأن رجلي بتسحبني للطريق ده

"كم أشعر بالأمل اليوم كأني هوصل لحاجة مش كدة؟"

-بقالنا كام ساعة بنلف والله ما فاكر وتقريبًا ضعنا؟

- الكشاف بدأ نوره يخفت ندخل المبنى ده أي شقة في دور عالي نتدارى فيه للصبح أخ يا رجلي، تعلمت صنع النار ها نحن ذا هنا عندهم سوفرة شيك خشب كويس للنار آسف ليكم ولكن الشيء لزوم الشيء

لا يوجد صوت على ما يبدو أننا لوحدنا هنا كالعادة.

كل يوم أشعر بالعجز أكتر كإني أشيب بسرعة أكبر ولا الأيام مافهاش بركة؟

افتكرت حاجة هذه الجملة جملة أمي كانت تقولها كثيرًا مافيش بركة في الأيام والناس اتغيرت ومابقاش في حد طيب

أنا لم أصدق هذه الكلمات يومًا نحن منذ آدم منذ خلقه هو وحواء والشيطان ونحن على حالنا منذ قبيل وهبيل والدنيا مافيهاش خير، سألت نفسي دومًا عن قصة قبيل وهبيل، ليس من باب ديني

ولكن من باب دنيوي بحت، تفتكر إحنا أبناء قبيل أم هبيل؟ أعرف أن حواء أنجبت العديد من الأولاد ليس قبيل وهبيل فقط، لكن لما فقط وصلتنا قصة هبيل وقبيل، عنهم أو كانت أشهرهم؟ تعرف لما لأننا دومًا ما كنا على هذا الحال كلنا من نسل آدم وآدم، أخطأ وكلنا لسنا أنقياء نحن اختراعنا الشر حديثنا هذا ذكرني بشيء أوه أنا طفل صغير، كان لي قريبًا في نفس سني يكبرني فقط بأشهر أو أيام في العمر، وكان والداه أغنى من والدي وكان لديه ألعاب جديدة دومًا وبدأ يريني إياها، كان يحب السيطرة على كل شيء، كان يغيظني دومًا بألعابه عنيف معي يريد أن يكون قائدي وأنا كنت مسكينًا إلى حد ما كنت الضعيف والأصغر وسط العائلة.

بالطبع كنا أطفالًا، ولكن صدقني ما أن ولدت واستطعت التكلم لم تعد ملاك ما دمت عرفت كيف تخطو سوف تتعلم الطمع والغش وحب الأشياء.

كان يومًا جالسًا هو يلعب على طاولة ويلعب بالمكعبات الجديدة وبدأ بإغاظتي كالعادة

فانفجرت غضبًا وقلبت عليه الطاولة وجرحته بإصابات بالغة ما كان يتوقع أحدهم هذا وحتى أنا وفي يوم أيضًا أذكره كنت عند أحدهم من أقاربنا الذين هم أفقر منا فقر مضجع، وإذا بطفل لديهم هو أصغر مني ولديه سيارة صغيرة بغيضة، ليست حتى ذات محرك ذاتي أو ريمود كنترول وسرقتها منه دون أن يدري، حتى أنني احتفظت بها فترة كبيرة جدًا بعدها. تعرف أنا الذي كنت في المدرسة يسرق الأولاد منه أشياءه ويُضرَب، وكنت الضعيف أو بوجهة نظر قصة هبيل وقبيل أنا كنت هبيل جدًا، كنت أُسرَق أُضرَب ولا رد فعل لدي تجاههم، لكني ضربت أحدهم وهو المتسلط ابن خالتي، وسرقت من الأضعف كاللص الخسيس من قريبي الأفقر مني، كل ما هناك أننا خليط من قبيل وهبيل خليط من آدم نفسه ليس هناك من لم يخطئ وأعتقد أننا بنسب متساوية من الشر والخير، بداخلك فأنت لم تولَد لتكون الخير والسلام اللامحدود ملاك منزل ولا أنت هنا الشر المطلق الشيطان، أنت هنا لتختار أنت هنا لتكون شريرًا قصة وملاك قصة أخرى أنت هنا لست هنا لتكون مثاليًا أبدًا، أنت هنا لتحاول ألا تقتل هبيل ولا تجلد قبيل، أنت لست هنا لتلعب دور الإله في الكمال. أعرف ما تريد قوله هل تريد أن تقول إن كيف لطفل ببداية عمره أن يكون هبيل وقبيل وهو لم يعرف بعد ما معنى الشر أو معنى الخير لا تكن ضيق

الأفق يا صديقي، بالطبع لا. لما حولك نصيب في صنعك فكيف يكون طفل لهبيل شريرًا؟ أو نسيب لقبيل طيبًا، ولكني سوف أخبرك، ألا تنساق خلف تلك الفكرة، لسنا عطلًا، فنينا في الكون، سوف يأتي عليك وعلى الجميع لحظة يدرك فيها ما يريد أن يختار هل أقتل هبيل؟ أم أكون قبيل؟ أم تقف لتلعب دور الشيطان؟ ولا تنساق لفكرة أنك لم تخطئ أو أنك ملاك ما لا تبدأ بمدح نفسك وذم الآخرين ولا تبدأ أبدًا حديثًا أوله "أصل الناس تغيرت عن زمان ولم يعد هناك خير" وإلا استيقظت صباحًا وأنت شيطان رجيم بحق، ولا تبدأ أبدًا في تصنيف نفسك وحساب أخطائك أوه وإلا فعلت المزيد بلا تردد "البحر يحب الزيادة."

لكن هل سرقة سيارة الطفل الفقير ليست كقتل هبيل؟ لعلها لا في نظرنا نحن الآن، ولكن من الممكن لو أن الطفل بكى لأجلها أيامًا وبحث بكل مكان، وكانت لعبته الوحيدة؟ ولو أننا وضعنا رقبتي تحت تصرفه، لقتلني لسرقتي سيارته أليس هذا صحيحًا؟

هل عندها يكون هو قبيل أم هبيل أم لا يحاسب على فعلته؛ لأنه كان تحت تأثير الثأر؟؟!

أخبرتك اخلع نظارتك لا تتساءل هل يحاسب الأطفال بلأساس لا طبعًا، لكن بمرحلة ما يبدأ حسابك، فاحذر ما اقترفت يداك، فليس كل الأشياء كسرقة لعبة من طفل من طفل آخر.

غريب أني تذكرت هذا اليوم على كل حال كان يستاهل الضرب ابن خالتي.

في آخر اليوم، لم يكن يومًا سيئًا موصلتش للدكان ولكن افتكرت حاجة افتكرت شكلي وأنا طفل وأمي وكم شخص من العيلة الكريمة مكسب على ما أظن.

الفصل السادس

الحب والروليت

هيا يا صديقي، أنا هنا أين تختفي وتتركني؟

بنسى كل شيء إلا أنت، وأنت لا تزال على حالك صامتًا.

حاولت اليوم أن أتحرك للبحث عن المحل، لم أجد الكثير من المحلات والكثير جدًا من الشوارع، أنا لم أعد أذكر اسمها حتى البارحة رودني كابوس وهذا لم يحدث في الأيام السابقة على ما أعتقد تربى سماعه، رغم أنه مش فال حلو؟ إيه بتعرف تفسر أحلام وتقرأ فنجان؟

على كل حال بدأ الحلم بمنزل بحي شعبي نعم حي بسيط منزل من الطوب الأحمر الشارع مليء بالسيارات والتكتاك ما التكتك؟ إنه اختراع لا أدري هندي أو صيني أو هندي صُنِع بالصين من باب أن الصين تصنع سجاد الصلاة والمسابح بتلك الفترة لا أدري لكن وصلت هنا واقف رجل بالشرفة تطل على زقاق ما وبعض من الشرفة على الشارع كما ذكرت والتكاتك كوب شاي كشري في يديه خناقة بالشارع مراقبة الأحياء الشعبية إنها أحياء وحق حيث التنوع في كل شيء تجد فتاة جميلة ذات جدائل ذهبية جميلة تخرج من بيت ذي طابقين من الطوب الأحمر المرهق من وقوفه في وجه الأيام، صوت سيد درويش يختلط مع أغاني شباب اليومين دول مهرجنات تجد رجلًا يواجه الحياة بالزق وآخر يعيش لا مبالي مكان مليء بالحياة والتنوع والوجوه، فيروز وعربة كارو تحمل البرتقال هنا الجميلة تعيش بجوار الوحش فرن ومحل ملابس وعطار متلاصقين كأن

أحدهم فجر قنبلة ما هنا تنوع صعب فهمه ووجوده إلا بالأحياء الشعبية، شيء واحد قد تستغربه هنا الهدوء صوت الطاولة والدمنو، ودخان المعسل، ولكنه واقف مكانه لو كأن الأمر عاديًا وبنظرة لا مبالاة كأنه يشاهد منظرًا طبيعيًا، السجارة في يدي الأخرى، ويصدر صوتًا ما هات بصلتين من عندك أوه طيب بصل معلق بالشرفة كأي عائلة مصرية محترمة بصل وثوم وبسكليتة لطفل قديمة مهترئة وقطع من خرق المطبخ عليها لتجف وباقيا من الحروب موجودة على الأرض والجدران حد مخمس على الحيطة بالبوية الخضراء وآثار فرقعة بومب على الأرض وما إلى ذلك من أشياء تضفي وجهًا جماليًّا على المنظر رمي السجارة وجاب البصل واتجه للداخل الشرفة منخفصة قليلًا تشعر أنك ترتفع للداخل كأنها سوف تسقط لا يهم بالطبع فأنا لم أسقط منها على كل حال وإلا لم أكن هنا، لأحكي هذه القصة صوت الشيخ المنشاوي شغال في الراديو تبع أحد المحلات بالأسفل شقة بسيطة بالكاد تتسع لشيء لا أدري ما وصف الغرفة، لكن كنبتين وباب شقة وممر صغير بسيتارة ما هذا مطبخ وحمام داخل مطبخ وباب صغير به غرفتين تمشي فتصتدم هنا بالكنبة تمشي فتصتدم هنا بالكرسي تمشي فتصتدم بالحائط كأنه مصمم بالمقاس على أحجام أشخاص لست منهم

-البصل أهو عديني أعمل كوباية شاي اوعي.

-الله مش تسيبني أخلص طبخ وأبقى أعمل شاي برحتك ثم لسة مخلص كوباية الشاي في إيدك آهي؟

-فين البراد في المزبلة دي كل دي مواعين كل دي زبالة وقرف مافيش اهتمام مافيش نظافة ده بيت ولا زريبة حيواانات دي مناظر بني آدمين؟!

-وإنت مش عايش معانا في الزريبة دي مش إنت راجل البيت ده سيبة زريبة ليه؟!

-أنا يا سيدي معفنة سيبلاك النظافة، أنا قعدة معاك لولا العيال كنت سيبتك ومشيت أنا الي نظفتك الي استحملتك دلوقتي بقيت وحشة حسبي لله ونعم الوكيل فيك.

-يا شيخة امشي قرفتني.

-امشي إنت يا ظالم.

-وإنتي يا بنت إنتي وهو بتبصولي كدة ليه مش عجبكم ما إنتم مش متربين، طالعين لأمك زبالة إيه ده مخداتكم مش بتتغسل صفرة كدة ليه قصوا ظوافركم وخليكم نظاف وزاكروا وانجحوا وابقوا محترمين ولا هتطلعوا لمين محترمين؟؟ ديرين على حل شعركم مافيش مرة رفعتم راسي ولا هترفعوها وادي بيتكم أهو هكسره على دمغكم.

-غوروا من وشي بدل والله ما هسيب حتة فيكم سليمة يا كلاب يا ولاد الكلب

-والله ما أنا سيبكم.

-أوه أعوذ بالله من الشيطان ده. كابوس غريب ولكن الأغرب لا أعرف إن كنت أنا هذا الرجل أم أحدًا آخر أسوأ شيء بالحلم أنك تكون جواه وإنت مش عارف إنت أنهي شخصية ومالكش رد فعل لم أكن أعرف أني متزوج ولدي أولاد؟ هل كنت بذلك السوء لدرجة أنهم تركوني مع الأنقاض ورحلوا؟

أين زوجتي والمنزل حتى أنه لا يشبه المنزل الذي أعرفه وأذكره رأسي سوف ينفجر ما عدت أعرف أي شيء، ولكن لعل هذا الحلم حقيقة؟

ولو أني والله لا أدري هل هذه ذكرياتي؟ أم أنه مجرد حلم، لكني لا أستغرب أن تكون حقيقتي أنا لم أكن شخصًا جيدًا بالنهاية كما كنت أتمنى لعلي قطعت كل يد مدت لي لعلي لست سوى نتيجة لأفعالي لدي الكثير من الفضول، أخ إذا يا محمد كنت وغدًا وأنا الذي كنت طول الوقت أحذرك من أن يكون أحدهم؟

على كل الأحوال، لا تكن مثلي لا تضرب الأيادي الممتدة لك، لن تجد غيرها، ها أنا كمثال إن كنت لم أضرب كل يد مدت لي، فلما لم يهم العالم أمري؟

أبحث عن أحدهم يهتم لأمرك، لا تكن قاسي القلب، أعرف أنك سوف تحلف ثلاث مرات على أنك لست كذلك، تمسك بمن يحبك، لا تلقَ بقبيح الكلام على من تحب لا تضرب امرأتك، لا تسب ابنك لا تجرح ابنتك، لا تلقِ باللوم على الشيطان، فهو بريء منك ومني تعرف، اقلع نظارتك الدنيوية وصدقني، لا تلقِ بنفسك بجواري هنا في هذا القبر الفارغ مد يدك لمن يهمهم أمرك، أنت لست مهمًا بالنهاية صدقني، لست سوى كومة عظام بالية لست جميلًا جدًا ليتحملك الجميع، رغم قبحك، سوف تجد من هو أجمل منك دومًا، سوف تجد من يعوض غيابك ولو طال الشوق بهم لك، سوف يستغني الجميع عنك، كما استغنيت لن تجد من يسمعك كما لم تسمع أحدًا، لن يهتم أحدهم لحزنك كما لم تهتم لحزن أحد، سوف تقابل الموت وحدك وهو أمر لو تدري عظيم، في النهاية، ماذا

فعلت في قوتك ليرد لك في ضعفك ووهنك؟ غريب بكائي ألا توجد رحمة لعجوز مثلي؟!

سوف تجلس يومًا صدقني تبحث عن يد تمتد لك ولو بكوب ماء، لن تجد أنها لعبة الحياة، احذر منها احذر ما اقترفت يداك، يا صديقي، قد ينساك الناس بسهولة، قد ينساك الجميع على ما يبدو أن حتى النفاق الاجتماعي خسرته، لا أحد هنا ينافقني بالحب حتى أنه وقت الحقيقة العارية وقت ما يرد لك الجميل أو سوء العمل، لنأمل أن القدر رأف بحالي، فأنا لا أذكر أي شيء لا أعرف غير اليوم، وما أذكره بالصدفة من الماضي المنصرم.

أنا الذي على ما يبدو لم أرهن على بقاء أحدهم بالفعل بقيت وحيدًا، أستغرب كيف يمكن أيضًا أن نكون بهذه القسوة، نحن البشر أستغرب كيف لا نسامح كيف لا نغفر؟ كيف تحبني اليوم وغدًا تتركني وتتركني اليوم. ننتظر دومًا شيئًا بالمقابل، لا يوجد ثوابت أبدًا أليس هذا غريبًا؟ أخبرك أنك صديقي المفضل ثم يأتي من يعطيني الحلوى فتذهب معه، تحب فتاة، فتجد غيرها أجمل فتركض خلف الجميلة تاركًا الحب؟ نحن نحب المجهول نحب ما يثير فينا الفضول، الأمل يثير فينا غريزة التقدير إني مرغوب، سوف يقدرني هذا أكثر، وأنظر حولك قليلًا هو من يحب الأشياء بصدق.

الحب بصدق كالمقامرة مع عصابة روسية على كل ما تملك فإن فزت، فزت بكل شيء وإن خسرت، قاتلوك، أنا أؤمن اليوم بهذا فقط أن الحب ليس كما يخبرك تخبرك به الأغاني هو ليس مجرد التقاء عيون وليس مجرد توافق أو تفاهم ليس شيئًا تفكر فيه، ليس شيئًا تختاره كاختيارك للملابس والفساتين، إنه ليس بشروط ليس بقرار منك، إنه كأن تقابل نفسك كل

يوم في الصباح ألا تبحث فيه عن نشوى أو عن غاية غير وجود من تحب، لا تبحث فيه عن مقابل. الحب في نظري هو أن تكون عجوزًا مثلي وفعلت على الأقل شيئًا واحدًا في حياتي لأجلك فتأتي لتزورني، الحب ليس بالعبارات ليس فقط بالعطاء بلطبع العطاء جزء لا يتجزأ منه، ولكنه ليس كل شيء كما قلت لك إنه ليس اختيارًا تتركه كلما مللت منه، إنه ليس شيئًا تتراجع عنه وتنفيه، كلما أذاك، بالطبع لا أتحدث فقط عن حب بين المرأة والرجل، أنا أتحدث عن كل الحب بالعموم الحب هو أن تقابل القسوة بالإيمان، الحب ألا تضع كبرياءك فوق كل شيء، إن كان لديك كبرياء، فأنت لم تحب، أن ترى من تحب كاملًا وإن كان أسوأ الناس، أتعرف هذا ذكرني ولسبب ما بقصة إيفا برون زوجة هتلر أسوأ وحوش العالم قاتل لا محالة، لن تحتاج الكثير من البحث لتعرف أنه مجرم قتل الملايين إيفا برون أحبت هتلر، لكنها قتلت نفسها معه بالطبع لا أبرر ولن أدخل في نقاش إن كانت هي بالأساس مختلة أيضًا، ولكنها كان من الممكن أن تهرب وتتركه يموت، وتذهب لتروي بعد سنين القصة في فيلم وثائقي، وما رأته معه، ولكنها اختارت أن تبقى حين يسقط سقف المعبد على رأسه، أن تقتل نفسها مع مجرم حرب

بالطبع، سوف تخبرني بأني مختل أيضًا، أنا أعرف سوف تقول إن هذا نوع من العذاب كيف تحب شخصًا قاسي القلب وقاتل وتبقى في أحضانه حتى يقتلك؟

سوف أخبرك أمرًا ما لم تكن متأكدًا أنك تحب شخصًا، ما لم تكن مستعدًا لبلع حبه سيانيد كايفا لا تُلقِ نفسك في أحضان أحدهم مدعيًا الحب. ليس بالضرورة أنك سوف تحب هتلر مؤكد لا. ولكن سوف يقسو

وتقسو الحياة عليكم أيامًا، سوف يصيبه الحزن وسوف يصيبك الحزن، سوف تتصارعون سوف تتقاتلون، سوف يأتي عليكم الوقت لا تطيقون الحديث معًا، سوف يكون هناك وقت كل شيء عبي عليكمو سوف تنالون نصيبكم من كل شيء، السيئ قبل الجيد، لا تكن جبانًا، إذا اخترت، لا تحسب نفسك المميز والمثالي الذي يستحق الأفضل، أنت لست سوى شخص ليس الأول وليس الأخير على هذا الكوكب، لست الأهم، فإن وجدت من يراك الكون، فلا تتركه لا تدر ظهرك وإن أصابه العطب يومًا، لا ترمه ما دمتم اخترتم بعضكم البعض، لا تفترقوا إلا بالسيانيد والرصاص أو الذهب وكن عاهرة واختلس من الجميع واذهب للمنزل وادعِ الشرف وأنك تستحق الرحمة وتخبر نفسك كم كنت طيب القلب ونقيًا واستخرج ألف عذر وعذر. ما الجميل في أن نقسو على بعضنا بعض؟

ما الجميل في أن ترد علي بالمثل ؟ ما الجميل؟

لا تقسُ، وإن قست الحياة، لا تقسُ على من تحب، كن رحيمًا لا تكسر بقلب أحدهم وأنت تعرفه جيدًا وتعرف كيف تقتله لا تعبث بأشياء لا تستطيع إصلاحها كالأرواح لا تخبر أحدهم بمقدار القبح به ارأف بحال من حولك، لا تضغط على جرح ليس لك أنا؟ لا أنا حتى الآن لا أريد أن أعترف بمقدار قبحي، ما زلت مصرًا على أني كنت حسن النية إن حدث هذا بحق وكنت أنا الرجل الذي يكسر عظام الجميع علشان بصلتين من البلاكونة سوف أتحجج أنها الحياة أليس كذلك؟

كانت تتحكم بي وقتها جعلني وحشًا على ما يبدو؟

أو أني كنت أسوأ من هتلر فلم أجد أي إيفا تحنو علي حتى أبنائي اختاروا الحلفاء ولم يختروني، على كل حال، الشمعة انطفئت وأنا أيضًا على وشك النوم واشتقت لنومة مريحة لم أذقها أو لم أعرف منذ متى لم أذقها

ماقولتليش إنت بتختفي تروح فين؟

في ناس عيشين بتحبهم وبتسبني وتروحلهم يعني؟

ما تخدني معاك إحنا مش أصدقاء دلوقتي؟

الفصل السابع

الطفل والحسناء

Wise man say nothing رجل حكيم قال لا شيء.. أعجبتني.

انظر معي هنا في هذا الصندوق الصغير وجدته أسفل خشبة مهترئة بغرفة الجلوس عندما دُست عليها، يبدو أن أحدهم حفظها هنا. وجدت بالصندوق الكثير من الأوراق والحِكَم، أعجبتني تلك الجملة كثيرًا رغم أني لن أعمل بها الآن معك.. على الأقل أنت.

حمقى نحن البشر، نضع الشعارات الرنانة والكلمات المنمقة المقفاة، كنت من محبي الكلمات الرنانة، اعتقدت أنها تعبر عما تريد، أو عما تريد أن تكون أو تفعل، أو ما تريد أن تتخلص منه سواء إحساس أو طريقة تعاملك مع الأشياء، ولكن بالوقت ذاته ما إن تنطقها وتحتفظ بها أمامك وتضعها نصب عينيك لا عقلك تصبح بلا قيمة. قليلون من يستخدمون الشعارات حقًا، لكن أعتقد أني أحمق مثل الجميع، أضع الخطوط الصفراء عليها، قصصتها من ورق الجرائد والكتب والمجلات والأغاني وبعدها أجد أن هذا تقريبًا كل ما فعلته، قد يعجبك الكثير من الحِكم والكلمات. اتعرف.. إن أعجبك يومًا كلامًا مقفًا أو جمل مهمة مثل هذه، قصها تمامًا كما فعل صاحبنا هذا، ضعها في الصندوق ولا تُضيِّع قيمتها بأن لا تفعلها، ادفنها في مكان آمن واقرأها من حين لآخر، واذهب لحياتك واصنع منها حياتك (حكمك) وكلماتك، كن أنت الكلمة الرنانة، كن أنت الخط الأصفر على الشيء الذي يلمسك، كن أنت العالم، اصنع كلماتك بنفسك،

اصنع كلمة يضع الناس تحتها الخط أو اجعل الخطوط فخورة بها، اجعل من احتفظت أنت بكلماته يرى أنه ليس الوحيد صاحب الحق بقول الحكم والكلمات الرنانة، لا تحتفظ بهم كما تحتفظ امرأة عجوز بعلبة صفيح فارغة من الحلوى كنوع من التكديس القهري. فقد حاولت أن أطبِّق حكمة قالها حكيم، وها أنا ذا لا أنبَتُّ أُهرطِق بالكلمات كلأحمق.

أوه صحيح.. هل سألت أصدقائك أن يستضيفوني عندهم؟

بالطبع نسيت؟

كل ما كتبته على الرُوْزَنامَة عشان افتكر لا فائدة منه، كاتب عليها قصص عن خيول وعواجيز وأطفال، كلام لا يفيد. استمريت بالبحث في المنازل، في المحلات، الحال كما هو الحال ولا شيء، عواصف معظم الوقت تمطر ولا شيء .

السبب الوحيد الذي يجعلني أستيقظ وأبحث هو الفضول والأحلام التي أراها تجعلني أشعر بالحياة. تريد أن تعرف ما فاتك من الأحلام؟ حسنًا..

اسمع:

استيقظت على سرير دافئ صغير الحجم.

انا اليوم على ما يبدو ضئيل، يداي صغيرتين، أنا طفل من جديد؟ ما هذه الرائحة؟ إنه الفطور؟ نعم فطور.. وأنا يا إلهي! كم أن هذا في موعده، ليس هناك أجمل من تلك الأيام قبل أن أجبر على أي شيء، كنت حرًا طليقًا، من كان ليحاسبني إن نمت لوقت متأخر؟ إن بكيت، إن تبولت على نفسي، من كان ليحاسب طفلًا إن لعب؟ إنه السلام الذي أحتاجه. لا خوف من المجهول، لا خوف على الإطلاق، تلك اللحظات حينما

أستشعر الأمان المطلق، شعور ألا عليك من شيء، لن يزعجك إن انقلب العالم، وحتى إن ضايقك فلن يجدي هذا نفعًا، فما ضرني وأنا هائم على وجهي أُراقص الحمامات على النافذة، أتناول الطعام كله، لو أنك تبحث عن وظيفة خرقاء ولا تجد ما ضرني، لو سمعت أن نهاية العالم اقتربت؟ ما فعلت لأخاف؟ لن أضيع شيئًا على الإطلاق.

أوه.. ماذا يحدث لهذه الملابس الملونة السخيفة؟

يا للحلم الأحمق.. ألم تجد من الأيام كلها غير هذا اليوم؟ إنه أول يوم في الحضانة. قبل هذا اليوم كنت مجرد عصفور حر طليق، لا أخشى شيئًا، ثم أخذتني أمي إلى باب سجن أسود كبير، كنت طوال الطريق عند ذهابي للمدرسة أمسك يدَّ أمي، ولكن لم أحب أبدًا هذا المكان، كنت خائفًا، كان قلبي يقفز للمرة الأولى، فقد كنت أشعر بأن خلف هذه الأسوار سجن ما، ليس هناك من خير أبدًا هنا. أذكر دومًا أنني كنت أحب شعور الشمس وهي تُداعب وجهي، تبتسم لي، كنت والشمس من أعز الأصدقاء حتى هذا اليوم الملعون حين وصلت لباب أسود كبير، هو يُفتح على مصراعيه ولكن به باب أصغر، حين يكون العدد بداخل السجن مكتمل يكون هو المنفذ الوحيد للدخول والخروج، له فناء خلفي، وبه فصول من دور واحد كلها مطلة على الفناء. أدخلتني أمي وبدأنا المشي، أول يوم ناضلت فيه لحريتي المسكينة، جرتني أمي من يدي لمبنى صغير هو فصلي، أو أول سجن لي، ووضعتني على الباب وتركتني ذاهبة عبر الفناء. لماذا يجمعون الأطفال هنا؟! لم أكن أنوي الاستسلام دون قتال، كيف تعبثون بحياتي الصغيرة هكذا؟! ركضت خلف أمي عبر الفناء وأنا أصرخ.. ماما.. متسبنيش متمشيش، وكلما ابتعدت كلما زادت سرعتي وزاد بكائي

"وكنت حقًا طفلًا ورجلًا سريع الركض حين يتعلق الأمر بحريتي" وقفت أمي وبدأت مجددًا في العودة بي للفصل وسحبي كالمجرم المعاقب الهارب من العدالة، من حكم سجن مؤبد وهي العسكري الذي أمسك بي هربان في زوبعة الحياة.

-"متخفش الحضانة جميلة ولو معجبتكش مش هجيبك هنا تاني"

-"لا خلاص يا ماما مش عاوزها عاوز أروح ألعب معاكي"

- هل صادفت يومًا شراء خروف عنيد للعيد؟!

وهو يدب حوافره في الارض حتى لا تستطيع إزاحته من مكانه كنت هذا أنا، ثم بدأت أمي في استخدام العنف، وتوقفت المفاوضات. وكل الأمهات والدول العظمى لم تتفاوض بجدية وبدأت بضربي لكي استسلم، تركتني مجددًا على باب الفصل وهمت لتخرج، وأنا أعدت الكرة مرة أخرى، فضربتني مجددًا وجرتني للزنزانه فتمسكت بمواسير المياه، بالنوافذ، وتارة برمل الأرض، ثم خرجت سيدة أذكرها جيدًا كانت تسمى (ميس عبير)، كانت شابة جميلة -أحببتها وأنا في الثالثة من عمري- وقفت وقالت لأمي:

-"اهدي يا مدام واحدة واحدة عليه".

-"مفيش واحدة واحدة والله لو مدخلتش لأكون موتاك من الضرب".

كان الموقف درامي بما يكفي، وكنت متعلقًا بعمود حديدي في أحد الفصول من الخارج وكأنها مسألة حياة أو موت، لن اتزحزح. كان هذا قراري وأمي تسحبني وتحاول فكي منها، وأيضًا ككل الأمهات

المخلصات التقت عصًا من الأرض وبدأت في الضرب كأن المكان كله يتآمر علي.

-"مش هسيبها غير لما تخديني معاكي ونمشي من هنا ونروح البيت، أنا عاوز أروح".

-"مش هتروح معايا هتفضل هنا".

واستمرت في ضربي واستمريت في عنادي، ثم تدخلت ميس عبير وأوقفت أمي ثم التفتت لي.

-"خلاص يا مدام اهدي ومتضربهوش".

فتوقفت أمي وما زلت متمسكًا بالماسورة.

-"يا حبيبي متخفش، متعطش خلاص ماما مش هتمشي وتسيبك".

-"طيب يلا سيب الماسورة وتعالي نمسح وشك من الدموع والمخاط".

وصدقني اذكر وقتها اختلاط مشاعري بين شعوري بأن عليّ أن أظل متمسكًا بالماسورة، وأن كل هذا ليوقعوا بي، وظللت متعلقًا بالماسورة وبدأت أمي تضربني مجددًا بكل قوة فلم يجدي ضربي نفعًا.

وبدأت ميس عبير مجددًا.

-"خلاص يا مدام حرام عليكي".

وتوقفت أمي مجددًا للمفاوضات، اقتربت مني ميس عبير بمنديل ومسحت وجهي.

-"متخفش خلاص خليك ماسك في المسورة محدش هياخدك غصب عنك".

تجمع الجميع حولي من مدرسين وأطفال أقدم مني ينظرون إليّ؛ منهم من يضحك، ومنهم من يتابع، ومنهم من يذكر أول يوم له هنا.

-"يلا متخفش سيب الماسورة وامسك إيدي ونشوف هنعمل إيه وماما مش هتمشي".

بدأت أقتنع وتركت الماسورة ولم ترحل امي ثم اخذتني ميس عبير في يدها وبدأت في مسح وجهي.

-"متخفيش محدش هيأذيك هنا".

بدأت أمي تقتنع أن العنف ليس حلًا.

-"تعالى يلا هوريلك لعب الحضانة، ولو معجبتكش روح مع ماما".

رأيت أن كلامها منطقي، فتوجهنا ثلاثتنا: أنا وأمي وميس عبير لغرفة الألعاب، أعجبتني الألعاب، لا شك أن الأطفال كالكبار حمقى لا يستطيعون أن يسيطروا على أنفسهم أمام الأشياء التي يريدونها.

-"ها عجبتك اللعب؟".

-"اه حلوة".

-"اختار واحدة وتعالى ألعب بيها".

كأي أحمق اخترت لعبة وذهبت لآخذها وأعود لأمي فلم أجدها.

ذهبت أمي وتركتني، التفتت سريعًا للخارج وجدتها تركض نحو الباب بعيدة عني، ها هي ع وشك الخروج، أطلق سيقاني للريح، كنت سريعًا مقارنة بحجمي الصغير، دومًا ما كنت -كما اخبرتك- لا أستهين بحريتي أبدًا، وميس عبير تحاول اللحاق بي، وأكثر من مدرس يركض ورائي

ليمسك أحدهم بي ولكني كنت أسبقهم، وكدت أمسك أمي لولا أنها سبقتني بالخروج. ركضت خارج أول باب للحضانة إلى ساحة المدرسة الأكبر حجمًا واستكملت الركض، غلق البواب الباب أمامي وحاصروني، ولكن لم أكن لأقف، ركضت في كل اتجاه، أذكر ركضي حوالي الساعة والاختباء وراء الفصول حتى أمسكوا بي، وجوه كبيرة لم أعتدها، يا لكم من قبحي، كان وما زال دومًا الحل هو البكاء حينما تنفد منك الحلول المتاحة، ابدأ في البكاء حينما تعجز ابكي.

ثم اتت ميس عبير مجددًا واحتضنتني بقوة وحملتني، همست لي:

-"متخافش خلاص أنا مش هسيبك وهفضل معاك ع طول".

أخذتني للفصل "بيني وبينك استسلمت للأمر الواقع فلن أستطيع الهروب اليوم، غدًا قد نفكر".

جلست وسط الأطفال الآخرين. أذكر أنه بين الحين والآخر أسمع بكاءً مستحدثًا هنا وصراخ أحدهم هناك، فتاه تبكي، طفل احمرَّ وجهه من البكاء، تماسكت أحيانًا وبكيت تضامنًا عدة أيام، ولكني كنت منهكًا لاتخاذ أي ردة فعل، لم أعتاد يومًا عليها، لم أعتاد على المدرسة ولا الأسوار العالية أبدًا، لم أحب أن أكون حبيس مكان يومًا. كنت دائما أنظر للسماء الزرقاء بالأعلى، إنها واسعه لا سور لها، كل شيء على طبيعته حرًا، هل رأيت طيرًا مقيدًا بقفص في الهواء؟ أو أن مجموعة من الأسماك بالبحر اتفقت على حبس نفسها؟ نحن البشر فقط من فعلنا هذا، كل ما هو معقد كان صنع الإنسان، كل الحزن كل الالم كان للإنسان وكأن كل الجمال للإنسان. دوما ما كنت أتساءل منذ نعومة أظافري، لم عليَ أن أتحمل؟ لم

عليّ أن أفعل ما لا أفهم؟ أن أحب ما أكره.. هل لزام عليّ فعل كل شيء أكرهه، هل عليّ كتابة درسي عشرين مرة حتى أفهمه؟ ولم أفهمه على أي حال؟! هل عليّ قضاء أيام طوال أجلس في حصة لغة عربية أرى من النافذة هذا الطائر وذك يلعب ويمرح؟ وأنا هنا أستخرج لام شمسية وقمرية لعينة؟ لم برغم وسع العالم وصغر حجمي حبيس، كنت حتى تخرجت في الجامعة وبعدها تجدني قرب الأبواب والنوافذ، في المدرسة حينما يطلقون سراحي للفسحة أقف خلف الباب وأنظر للخارج، متى يأتي اليوم الذي أكون فيه بالخارج أمشي لا أتلفت، ولا أخاف ولا يهمني الواجب، ولست أحمل على كتفيّ تلك الحقيبة لعنة الله عليها؟ ولا انتظر جرس الانصراف ولا طابور الصباح ولا أوضع محل اختبار، متى أكون حرًا من كل شيء؟

استنتجت متأخرًا أنه لم يكن علي بدًا ابدا وأن لعنة الله علي حين اخترت اللعبة والحسناء ذات الشعر اللطيف والنهد الطري على يد أمي.

الفصل الثامن

الخامسة والعشرون

ها أنا جالس مكاني هنا منذ عدة ساعات أنتظرك لتأتي، لم لم تأتِ تأخرت كثيرًا عليَّ يا صديقي، كل يوم عن سابقه أشعر بتدهور كأنني أفقد شيئًا من إنسانيتي وأتحول لمجرد نبات تعفن في الأرض. الجيد في الأمر أني بعد كل هذا ما زلت قادرًا على الحركة والأكل. ما رأيك في الخروج والذهاب. أو لا؟ أنا خائف أن أضيع بالخارج، ثم ماذا يستحق الخروج لأجله؟ المنزل أفضل حتى لا أضيع. أم أخرج؟ ما رأيك؟ لم لا تخبرني أي شيء؟ لا بأس بك كمستمع خير من البقاء وحدي، لا هذا راديو أشغله لا يوجد به بث غير التشويش، لعله معطل.

وجدت دواءً بمكان ما وبدأت تناوله، لا تبدأ سؤالي هل هو دواؤك، أم هي وصفة. لا أذكر كل هذا، كل ما عرفته أنه يجعلني أسترخي وأنام وأحلم. حلمت أمس أني شاب.

في العشرينات مجددًا؟

جالس ع كرسي وبجوراي سيدة ستينية العمر، وفتاتان وشاب ورجل كبير في السن يبدو على الجميع السخط والقلق، لا أدري لماذا؟

- أنا عايز أكلمك في حاجة يابني انا مش هعيشلك العمر كله وعايز اطمن عليك ومينفعش اللي أنت بتعمله دا؟

-بص يا بني.. أنا فاضلي وقت قليل في الوظيفة وأخرج معاش، وأمك أهو أنت شايف الحال وصل لايه؟

-انزل شوف شغلة وخلاص، شوف الشغلة اللي أختك قالتلك عليها ولا عجبك القعدة؟ أنت مش بنت يا بني قاعدة جنبي.. أنت راجل.

-بس أنا مش حابب الشغل دا؟

-ومين حابب الشغل اللي بيشتغله، هو دا الموجود، وأي حاجة وخلاص أحسن من القعدة دي، أنت متخرج من أربع سنين وعندك خمسة وعشرين سنة، ومعندكش خبرة في حاجة، كل شغلة بتروحها مبتعمرش فيها أكتر من شهرين تلاتة.

سبني أجرب وأعرف بحب ايه.

مفيش وقت للتجربة، مفيش وقت لي بتعمله دا، أنت مش عارف عايز تعمل إيه، تقولي هجرب؟

طيب بس سبني أجرب أي حاجة يمكن أوصل؟

توصل لايه، أبقي قابلني، أنت فاشل ومعندكش خبرة، سيبك من الأحلام دي؟

ذهبت للسرير تاركًا خلفي تلك النظارات التي تعني فقدان الأمل، أضرب كف بكف والجميع محتار.

ذهبت وأغلقت الباب على نفسي، بكيت كالأطفال،

في الحلم أنا شاب، أهذا شاب في الخامسة والعشرين من عمره.

تبًا للخامسة والعشرون. في الخامسة والعشرين تدرك أنك لم تعد تستطيع أن

تمسك كل شيء، تصبح كشارب الخمر ليلا، كأنك تشرب الخمر خمسة وعشرين عامًا، تستيقظ لتجد كأنك بالأمس فقد كنت طفلًا. في الحقيقة سوف يلازمك هذا الشعور باقي عمرك فتستيقظ صباحًا لتدرك الفاجعة، أنك في الثلاثين، ثم في الثلاثين يمر عليك الصباح تلو الآخر لتجد نفسك فجأة هنا بجواري على سرير العجائز. لكن البداية في الخامسة والعشرين، تفقد بها شعرك إن كان لا سمح الله لديك شعر، سوف تستيقظ فجأة على شيخوخة والدك وكأنه ينتظرك لتصل للخامسة والعشرين ليطعن بالسن فجأة؟ لتصبح أمك عمرها ستون عامًا، عليك أن تصل للخامسة والعشرين، لتخاف من مكالمات الهاتف حين يرن خوفًا من فراق أحدهم أو إصابته أو مرضه أو حتى للومك على ما لم تفعل وأي شيء فعلت أو بالطبع لإلغاء يوم عطلتك لأجل العمل. سوف تفضل أن تجلس بالأركان، سوف تختار الركن البعيد على أن تكون بؤرة الأحداث، وحتى إن حاولت لن تكون بعد الآن "نجم الشباك الأول"

ليخبرك الجميع كم أنت أحمق عليك أن تكون في الخامسة والعشرين،

لتصدمك الحياة بأن الطفل الذي اعتدت أن تكونه يجب عليك أن تزيله من أجهزة الإنعاش وتحمله لقبر الخامسة والعشرين بيدك.

سوف يودعك صديقك أو يرحل دون وداع، إنها سنة الحياة، سوف تجد أن الموت أسهل من الحياة وأن اليأس صديق مخلص والفرح كنسمة الهواء البارد في الصيف لن يدوم أكثر من الوقت الذي ضربك به، تجد الأحاديث الشيقة لن تجدي نفعًا مجددًا فالجميع خلع نظارة الأحلام والشباب، سوف تستيقظ في الصباح لا لأنك تحب العصافير، بل حتى تلحق الامضاء والبصمة وتتجنب صراخ مديرك، أن تجد ما يضحك لم

يعد يجدي نفعًا معك، نظرات الناس لك لن تكون كسابقتها بل، بيقبض كام في الشهر، اتجوز ولا لسة؟ في الخامسة والعشرين تجد نفسك تحسد هذا الطفل ذو السنتين على ضحكه، على لعبه، سوف يرحل عنك سحر الشباب، لن تعد تؤمن بالكثير، لن تهتم بعيد ميلادك بعد هذا إن ذكرته. تدرك أنك لم تولد لتكون حُرًا كما تمنيت، تدرك أن أحدًا لم يعد يهمه حزنك أو فرحك، لن يراك أحد تستحق الشفقة، لم تعد بريءً كما كنت، في الخامسة والعشرين تدرك أنك لا تملك الكثير للبدء، لن تجد أيضا البداية تنتظرك كما أخبروك، تبحث في أعين الجميع عن نظرة تحمل الحب الرأفة وأنك لست وحدك وإن كنت مخطأ ولن تجد. لا تحزن، فأول سؤال سوف يقابلك به الجميع: "ها.. بتعمل ايه دلوقتي، ايه مش هنمشي في زفتك" كأنهم يحملونك مسؤولية انقراض الفصيلة وبقاء البشرية، سوف تخسر الكثير من المجاملات، الكثير من النفاق والكثير من الأحلام، لن يرن هاتفك ولا جرس بابك، الجميع مشغول بشيء ما أهم، أو غير مشغول حتى، لن يأتيك. تدرك أن الجميع كذب عليك حين أخبروك بأنك تستطيع أن تحقق كل ما تريد، إن لم تكن قد حصلت على وظيفة مرموقة؟ سوف يخبرك الجميع بمدى خيبة أملهم فيك. كنت شاطر بس طول عمري لعبي. في الخامسة والعشرين تملك تلك الحرية، لن تخبرك أمك ما الصواب بعد اليوم لكنك أيضًا لن تعرفه بسهولة، إن كنت مثلي وقتها لم تختر شيئًا في الحياة، لم تختر فتاة تحبها، ولم تكن قد اخترت وظيفة أحلامك، أو إن لم تكن قد حلمت أصلًا؟ لا تعرف ما الشيء الذي تجيده حتى؟

استيقظ يا صديقي، لا تترك الخامسة والعشرون تذهب، امسك بها وقف ولا،

لا لم أصدق هذا الكلام، صدقني أنا لم اتخلى يومًا عما أؤمن به، أنا لن أتركك في منتصف الطريق بعد أن وصلت للخامسة والعشرين، بالطبع لا أذكر للأسف ما فعلته لأنصحك به أو لأقوله لك، لكن لا تقسو على نفسك، لا تحكم عليها بالفشل والخزي والعار، وإن رأى الجميع هذا تبًا لهم لا تصدقهم، لم يُحكم عليك بالإعدام بعد صدقني، لا تستمر في قبول الصفعات من الجميع ولا تقبل ما تكرهه نفسك، أنت لست كبيرًا على الحياة انا يا صديقي كنت أملك بنطالًا واحدًا مزقته كثرة المشاوير، لكن كان لي قلبًا ينبض بالحياة، لم أصدقهم، أعرف أعرف كل شيء ثقيل على كاهليك؟ لكن لا، لا تتمنى الموت، لا تنام كل اليوم هربًا، لا تمشي باقي العمر كالخامسة والعشرين الفائتة مجبرًا، بل استجمع ما لديك، في الخامسة والعشرين اذهب للخارج مفلسًا، اعرف أنك لست ميتًا بعد، اذهب وابحث عما لم تعرفه عن نفسك، اذهب واعرف ما تحب، نعم.

ابحث واعرف ما تجيد فعله، ما يجعلك تستطيع الوقوف والتبجح في وجهه الجميع. في الخامسة والعشرين لا تفعل ما لا تطيق، لا تجلس مع من لا تحب.

لا تستقبل العجائز مدعي المرض، حزنى الوجوه، أيًّا كان سن هؤلاء. لا تجلس في الظلام بل اشعل ضوء الغرفة وطارد الاشباح كلها، قف وافتخر بنفسك.

أنت هنا ضائع، لا بأس لكنك هنا عليك أن تدرك أن الخضوع للحياة هو الموت، إن لم تعرف حقيقة نفسك لن تكون أكثر من عدد في الإحصاء السنوي، صدقني، في الخامسة والعشرين اخرج سيفك وقاتل أو اصنع حربًا. في الخامسة والعشرين لا تكن جبانًا أبدًا ولا تصدق أن الأحلام هي

قصص للأطفال، في الخامسة والعشرين اذهب في كل الاتجاهات، اطرق كل الأبواب لعل أحدها يفتح، وسوف تجد ما تريد، في الخامسة والعشرين لا تكتفِ بما يكتفي الجميع، افعل ما تريد، في الخامسة والعشرين لا تندم على أفعالك، لا تندم، لا تبحث عن أحدهم ليضيء لك الطريق بسهولة، اصنع أنت الطريق ثم أضئه لعله يهديك ويهدي غيرك، سوف يتحتم عليك أن تبني ولا تعرف إن كنت تبني بالشكل الصحيح لا يهم، ابني أي شيء ولكن أكمله للنهاية وإن كان قبيحًا. في الخامسة والعشرين لا تستمنى علي سريرك وتبكي، ولا تبكي بالأساس، في الخامسة والعشرين أنت بداية الأشياء لا نهايتها. أنت لست زائد ولن تكون زائدًا أبدًا في الخامسة والعشرين لا تحسب أنك الحزين الوحيد، ولا تحسب مصيبتك الأعظم، انظر للنجوم لا تنظر للأرض، لا تعلق خيبتك وانكسارك على أحد، لا تتمسك أكثر من اللازم بالحمقى وعديمي الإحساس، لا تعطي الجميع من روحك فتفقد نفسك، لا تقاتل كل الحروب ولا تقاتل لأجل أحدهم وهو واقف وراء القلاع، إن تمسك أحدهم بك لا تتركه وحده، لا تحتقر أحدًا، كن ملجأ لا حربًا ولا سلامًا، كن قوي لا تخف، وإن ضعفت اجلس وارتاح وانهزم، لا بأس بالهزائم لكن لا تستسلم.

كم هو صعب أن تختار في هذه الحياة؟ بالمناسبة.. ماذا اخترت أو ماذا تعرف عن الاختيار؟ ماذا اخترت بمحض إرادتك؟ متى كانت آخر مرة وقفت وعرضت عليك الحياة الخيارات واخترت شيئًا ما تريده كطفل عُرض عليه اختيار لعبة ما واختار أحدهم بما يترتب عليه من خيارات بتفويت اللعبة الأفضل ذات الأصوات والأضواء المبهرة والأغلى ثمنًا تركها واختار تلك الدمية الصامتة التي بالكاد تصلح للعب، لعله يرى

فيها ما لا ترى أنت وأنا، إنه لا يقرأ السعر أو يستمتع بالأضواء، وقتها لن يعرف أن تلك خيار الكبار العقلاني، إنه يختار شيئًا، لا لأنه أمتن ولا أقوى ولا يبهر، كل ما هناك أنه أحب تلك، أما اخترت شيئًا كهذا؟!

هل ركضت يومًا هاربًا من باب المدرسة رافضًا الانصياع لأوامر أمك والمدرس الذي توعد لك: إذا خرجت من هنا، بكرة الصبح هتجي وهتاخد فصل عشر أيام واستدعاء ولي أمر، أنا عرفتك وهجيبك. ورغم الوعيد ومعرفتك بأن والديك في المنزل لن يغفرا هذا الذنب ولكنك قررت أن تطلق رجلك للركض خارج السور رغم العواقب، ولكنك لم تحب المدرسة؟ أما فعلت؟

هل كنت شابًا وذهبت للتقديم في وظيفة مرموقة وذات مرتب مغري وحضرت الإنترفيو وقبلت في الوظيفة وفجأه قررت أنك لن تستمر هنا وتركت المكان وذهبت؟ أفعلت؟

هل استيقظت يومًا باكرًا لأجل موعد مهم في نظر الكثيرين سيغير مستقبلك للأفضل ولكنك فضلت سريرك الدافئ على الخروج ولتذهب الحياة للجحيم؟ ألم تنم يومًا كهذا؟

هل أخبرتك أمك يومًا بخيبة أملها فيك وأنت جالس جوارها عاطل عن العمل "والكل في سنك بيفتح بيت وانت قاعدلي كده".

وأصدر الجميع في حقك الحكم بأنك جبان كسول لا تريد أن تتحمل مسؤولية، ورغم كل ذلك كنت تعلم في قرارة نفسك أنك لست كذلك؟ هل صمدت،

هل كان لك قرارًا في اختيار فتاتك التي تحب أم أنك وجدت أول من وافقت بوجودك وقررت أنها هي من اخترت؟ هل اخترت؟

هل سهرت يومًا للصباح الباكر ونظرت للشمس وقلت شروقك اليوم لن يحزنني؟ هل فعلت؟

أوقفت يومًا رافضًا أي شيء؟ أم أنك كنت محض صدفة ترميها الحياة أينما وضعت، لا تقدر على التمرد، متى تمردت؟

هل كنت مغامرًا قفزت من حافة، لا ليست حافة بالمعنى العادي، أقصد حافة شيء ما قرر الجميع أنه لا يجوز تجاوزه. لا.. توقف، اخبرتك ألا تنظر للأشياء معي بمعنى دنيوي

هل كسرت قاعدة ما؟ هل فعلت؟

أنا؟ لا لم أفعل.

ولكني دومًا ما أحببت هؤلاء المتمردين على الحياة أحبهم حتى النخاع، أحببت هؤلاء المدمرين للروتين والمعتاد، هؤلاء الذين يستيقظون ليصنعوا إعصارًا من جناح فراشة، هؤلاء الذين يأكلون ما يحلو لهم، يلبسون ما يحبون، لا يهمهم رأيك ولا رأيي فيهم، هؤلاء الذين لا يتركون العالم كما هو حولهم، هؤلاء الفوضى المطلقة ولكنهم ساكنون، هؤلاء الفوضى والتغير لكنهم لن يسببون لك الأذى، ليس الأذى من صفاتهم، هم يساعدون من حولهم دومًا، هؤلاء لا يهربون من المعارك المهمة، هم أفضل المحاربين على الإطلاق ولكنهم لا يعلنون الحروب إلا لأمر جلل أمر كبير يستحق، وتعريف ما يستحق عند هؤلاء مختلف عنا، هم لا يخافون مهما كلفهم من وقت ومن حياتهم، حتى إن كان موتهم ومهما كلفهم ذلك من

إهانات، لكنهم مميزون حقًا، هؤلاء مَن خلق العالم لأجلهم. كل منا حكاية أنا أعلم هذا، لكن هؤلاء رواة الكون، وجودهم في الكون هو ما يجعل حياتنا محتملة، إنهم الحق وقت الضلال، النجوم وقت العتمة الحركة والكل ساكن، اليد التي تعطي وقت الشح، النبتة على سطح من الأسمنت، الابتسامة وقت العبوس. قد لا تجدهم على شاشات التلفاز وواجهات الصحف، وقد لا تميزهم عن غيرهم فهم ليسوا دومًا الأجمل ولا الأكثر تمرد في مظاهرهم. أخبرتك كثيرًا يا صديقي ضع مقاييسنا جانبًا حين نتحدث، قد لا تراهم من الأساس مميزون فورًا، قد لا تلحظهم هنا، إنهم يحضرون بجميع الأشكال والألوان والأعراق، قد يكون كما أخبرتك عجوز مثلي ولكنه لم يقتل حلم، قد تكون آنسة لطيفة تمر بجوارك كالفراشة، تراها تجلس وسط الدمار تحاول إعمار الخراب، قد يكون شابًا قاتل لأجل ما لا يراه الآخرون فيه، قد يكون فكرة حاول الجميع إحباطها، طفلة تطعم هِرًّا تحميه من برد الشتاء، سيدة عجوز تخبرك أن ما دمنا هنا فلا داعٍ للقلق، قليل من ضحكات وأفكار وحب ومرح حتى في اليأس، هؤلاء لهم يأس لطيف خاص، يأس لا يقتل أحد بل يصنع حياة. كانوا دومًا أكثر الناس إحساسًا ولطفًا. ماذا تقول؟ هل هم مختارون؟ لا لا لا.

قد تكون أنت منهم وأنا أيضًا قد نكون منهم، دوما تستطيع مهما كان حالك، أن تصبح منهم هذه ليست محاضرة للتنمية البشرية، صدقني أنا أكرهها كما أكره الأمل بلا سبب، أو التفاؤل بلا داعٍ، لكن ماذا فعل لك اليأس والحزن لتتمسك بهم لهذا القدر؟ لم في الفشل فقط تلعن الأمل؟ لم لا تلعنه وأنت ناجح، لم نذكر يوم موت لا يوم مولد؟

لما انا العجوز وأتسائل كفتى في العشرين من عمره، لماذا؟

ابحث عن الحياة أسلك لها كل الدروب، خض كل الحروب لأجل الحياة التي تراها مهما كانت بسيطة أو متطلبة، مهما كانت سخيفة أو قمة في التعقيد، اذهب ولكن لا تجلس ها هنا مثل الجميع يبحث فقط ويندب حظه على كل شيء ويشتكي.. كم هي قاسية؟ لا نحن ملائكة القسوة لا الحياة، لن يقسو عليك العالم بل البشر، لن تقتلك السماء ولكن قد يدهسك الناس.

أنت العالم يا صاحبي أنت البطل لا أحد غيرك، عليك أن تقف ساخطًا رافعًا صوتك بلا، عليك السقوط والاستقامة، عليك خوض الحروب لكن لا تقبل واقع فُرض عليك. أتُهزم؟ بالطبع سوف تهزم كثيرًا، من لا يخسر معارك؟ ولكن المحارب القوي لا يقبل الهزائم مطأطئ الرأس، إن هؤلاء المنيرين لا ينكسرون، لا تنكسر وتقبل أي شيء يفرض، تمرد يا عزيزي، تمرد واظهر هذا للعالم، عندها فقط تكون مختار المختارون ياصديقي لا يندبون حظهم هم صناع الحظ والقوة تنصاع لهم، الأقمار والشموس هم مثلنا يهزمون. لكن لا يبقى على الأرض كثيرًا، يحاول الطيران مجددًا مهما سقط، هم أبطال الحكاية، قد لا يصدقه أحد غير نفسه، هم لا ينتظرون شفقتك ولا ينتظرون تصفيقك لا ينتظرون يدًا للمساعدة أبدًا. نعم نعم تستطيع أن تكون منهم وأنا أيضًا كنت أستطيع، ولكن على ما يبدو أن الأوان قد فات عليّ؛ لذا سوف أريح جسدي قليلا كالعادة، أتركك هنا راقب الوضع وحاول أن تتذكر أي شيء، وإن وجدت أخبرني، وإن قررت أن تذهب فاذهب وحاول أن تفكر في كلامي، هل تريد الطيران؟ (ولا تبقى معايا و تسف التراب؟) الجميع لديه شيء مميز،

سر بالداخل مدفون فينا جميعًا، إن عرفت كيف تخرجه سوف يدلك على الطريق، لكي تكون مختارًا خذ الوقت كله لتعرف، ولا تخف سوف ينجيك من الظلام.

ماذا فعلت أنا في الخامسة والعشرين؟

انتهى الحلم كده، يمكن استسلمت وعملت زي الناس وعشت وعلى رأي عجوز حقيرة في التسعين من عمرها قابلتني يومها وتذكرتها وأخبرتها أني في الخامسة والعشرين، وأني ما زلت أبحث عن ذاتي فأخبرتني أن: لا لا كده غلط ومش معقولة اللي بتعمله. وأومأ الجميع برأسه موافقون على كلامها إن: اتجمز بالجميز لحد ما يجيلك التين. أحرق الله رأس كل من قتل الحلم والأمل في أحدهم يا شمطاء.

كل يوم يمر علي أشعر بالجنون، أشياء عجيبة أتذكرها وأنساها، أين أنا من هؤلاء؟ أيًّا منهم قصتي أنا؟

هل كنت الطفل أم العجوز أم الشاب أم كلهم، ممن هؤلاء أنا؟

بدأت أفقد عقلي شيئًا فشيئًا، أنا مرهق ولكن تبقى لي محاولة واحدة وأخيرة، سوف أخبرك عنها غدًا.

الفصل التاسع

من أنت؟

-صباح الخير ياصديقي كيف حالك اليوم؟

-نعم لا تخف ما زلت حيًا وأنت أيضًا ما زلت صامتًا، ولكن المختلف اليوم هو أني أمسكتك. وكما ترى أنت مربوط على الكرسي. إنها محاولتي التي اخبرتك عنها أمس.

-انا لن أؤذيك، لن اقتلك، ولكن تكلم، أخبرني من أنت؟

-أنت تعرف كل شيء صحيح؟

-أنت تعبث بي أليس كذلك؟

-لم منذ أن قابلتك وكل شيء مختلف، لا أدري، لم لم أتساءل أبدًا عنك وعن وجودك؟ أتحدث معك كأني أعرفك، أو كأنك عدم، ولكن أخيرًا أمسكتك، رد؟

-دا أول سؤال أعتقد من حقي أعرف ولا دايما بتيجي وتمشي وأنا مش - حاسس إنك مشيت، يعني كإنك والعدم سواء؟

-دا شيء أعتقد صعب عليك فهمه؟

-ما أنت عندك صوت أهو وبتعرف تتكلم؟

-صعب عليا فهمه أكتر من اللي أنا عايشه، مدينة طويلة عريضة أنا لوحدي فيها؟

-ناسي كل شيء ومش عارف أي حاجة؟

الموضوع صعب عليك صدقني، أنا حتى مش مستوعب إزي قدرت تسيطر عليا وتمسكني، دا شيء مستحيل يحصل .

-أنا مش عايز أأذيك يا بني صدقني، بس فهمّني؟ أرجوك فهمني، أتوسل ليك.

-طيب فكني الأول يا عم محمد، أنت متعود تربط ضيوفك كده؟

-لا طبعًا بس متهربش؟

-مش ههرب متقلقش.

-طيب يا سيدي أهو فكيتك.

-يا وغد بتحاول تجري دلوقتي.

-متحاولش تختفي أنا فاكرك ومش هنسي، لو هربت ورجعت هقتلك، مترجعش أبدًا.

-حقير بحق.

-اهدى طيب، أنا حاليًا محبوس معاك هنا ودا شيء غلط ومستحيل يحصل، أحكيلك ولكن توعدني تساعدني، اتفقنا يا عم محمد؟

-وغد وعاوز مساعدة كمان، ولكن اتفقنا معنديش خيار آخر، أحكي وأنا أساعدك، بس أعرف إزاي؟

-أولًا يا عم محمد أنت راجل ميت، ايه رأيك في الحقيقة؟

-ميت إزاي، تحب أضربك عشان تعرف إني حي، أنت كل دا قاعد معايا وأنا ميت، ايه الجنان دا، أنت جي تقول الحقيقة ولا بتكدب كدبة جديدة؟

-سيبني يا عم محمد متبقاش مجنون، هتضيعني معاك سيبني.

-أسيبك إزاي وأنت بتقول إني ميت يا مجنون أنت، دا أنا هقتلك، تعالى هنا.

-سيبني بس وأنا هفهمك كل حاجة.

-أنا حاسس إني عارفك بس مش قادر أفتكرك، شعور غريب، أنت مين؟ قريبي طيب؟

-لأ مش قريبك بس أعرفك يا عم محمد، قوم بس وغير هدومك وأنا هحضرلك قهوة وأحكيلك، بس تساعدني أرجوك؟

-مش عارف أنا ليه واثق فيك يا بني رغم غرابة الموقف، بس حاسس إن واثق فيك أو عايز أسمع.. يلا.

-اتفضل قهوتك اللي علطول تشربها من غير وش.

-عرفت منين؟

-هفهمك وهكيلك كل حاجة.

-إحنا اتفقنا هتساعدني؟

-أفهم في ايه وأساعدك.

-أنا اسمي يوسف، إنسان زي ما أنت شايف كده.. ماشي؟

-دا شيء واضح مكنتش محتاج توضحهولي، حابب أساعدك في ايه؟

-انا يا عم محمد مش عايش معاك لا هنا ولا في الزمن دا.

-هو باين عليه يوم مش فايت من أوله، أصحى على أرض الحمام وبعدها أقابل واحد بيقولي أنا جايلك من زمن تاني، بس هسمع للآخر. وبعدين!

-أرجوك خد الموضوع جد شوية، أنا هبسطلك الموضوع، لكن توعدني إن تثق في كلامي وتساعدني أيًّا يكن اللي هحكيهولك أو هيكون رد فعلك عليه ايه؟

-أنا زي ما قولتلك جي من زمن تاني ليك، مش جي ليك شخصيًا يعني بس أنا من زمن تاني.

-مش بعيد أوي، يمكن بس الوقت اللي إحنا حاليا فيه دا أنا مكنتش هنا، ولا كنت عايش أساسًا.. اتفقنا؟

-أيوة فهمتها دي، بس تعرف اسمي إزاي، حتي لو أنت جي من المستقبل. جدك أنا؟ ولا قريبك وأنت جي عارفني؟

-أنت يا عم محمد في زماني ميت وعمري ما قبلتك غير جثة.

-أها رجعنا لكلام المجانين أهو.. استنى كده أشوف الباب، إلا أنت صحيح دخلت البيت إزاي وأنا قافل الباب والشباك؟

-افتح الباب بس وهتلاقي حسن جارك هيسألك عن دور الدومينو بتاع إمبارح اللي أنت مرحتهوش عشان تصدق كلامي.

-أما نشوف أخرتها معاك.

-ايه دا.. حسن؟

-صباح الخير أستاذ محمد؟

-حسن.. ادخل يا حسن بسرعة.

-ايه، حصل ايه كفى الله الشر؟

-ادخل شوف كده الأخ ده ؟

-مين الأستاذ ومضايقك في ايه يا عم محمد. فينه؟

-أهو.. أنت مش شايفه؟

-لا والله ما شايف حد، أنت باينلك مرهق ولا تعبان، عشان كده مجتش القهوة إمبارح؟

-يعني أنت مش شايف حد يا حسن؟

-مفيش حاجة يا عم محمد، استعيذ واغسل وشك وفوق كده.

-امشي يا حسن، امشي غور.

-الله الله مالك يا راجل ما تستهدي بالله، عمومًا هفوت عليك كمان شوية تكون هديت ولا فوقت.

-حسن مشفكش ليه؟

-تقنيًا محدش يقدر يشوفك غيري حاليًا.

-تقنيًا؟ يا سلام على الكلام، دا فيلم عفريتة إسماعيل يس؟

-يا عم محمد أرجوك حاول تفهمني، أنا حاليًا في زمانك، بس في نفس الوقت اللي أنت عايشه دا ماضي، فهمت؟

-يعني ايه ماضي وزفت يعني، ايه زمانك بس ماضي يعني؟

-يعني اللي أنت عايشه دا ذكريات أنت عشتها في وقت ما كانت حاضر ليك، بس دلوقتي مجرد ذكريات حصلت.

-تقصد تقول ايه بذكريات؟

-أنت في يوم فعلا وقعت في الحمام وكملت يومك على أرض الحمام، وصحيت الصبح حسن جارك جه خبط عليك وسألك مجتش ليه زي ما جه كده، وبعدها نزلت المحل، فاكره؟

-ايوه فاكر المحل والمفروض أكون هناك دلوقتي.

-شفت؟

-أيوة بس دا روتين يومي العادي وممكن ببساطة تتوقعه، دا مش معناه إني ميت؟

-يا عم محمد أنت شخص انتهى ومات دي الحقيقة، قُلتلك لازم تصدقني، حاول كده تفتكر إمبارح؟

-حاول؟

-ها افتكرت؟

-لا مفتكرتش، مش فاكر حاجه، دا مستحيل، لكن بردو مش معناه إني ميت، أنا عمومًا بقيت أنسى بحكم عمري وأنا راجل روتيني ثابت أكتر من خمسة وعشرين سنة. أنت عايز توصل لايه بالظبط؟

-عم محمد أنت ميت مالكش تحكم على الأحداث هنا، متقدرش تغيرها، فهمت؟

-لا مفهمتش واتفضل من غير مطرود برا، ولا أقولك أنا اللي هخرج وبالروب والبيجامة.

-لا يا عم محمد، لا أرجوك لاااا.

الفصل العاشر

الذكريات

-أخيرًا صحيت؟

-ايه رأيك يا صديقي، ليا تحكم في الأحداث ولا ماليش زي ما قولتلي؟

-أنت في كرسي العربية وأنا واخدك على المحل، شفت مين فينا اللي مريض، مين فينا اللي مالوش تحكم.. أنت مش أنا.

-أخخ.. أنت إزاي قدرت تضربني وتحطني في العربية؟

-مش أنا اللي ضربتك، أنت اللي وقعت مغمى عليك لما فتحت الباب وقلتلك هخرج، أنا وقعت ساكت وحسن شافك كمان يا أستاذ، محدش بيشوفني، شفت بقي، وعلى لسانك علطول إزاي تضربني، إزاي تمسكني، مش هعرف امسكك، ليه بتكهرب؟

-هتضيعني يا عجوز، هضيع بسببك وسبب غباءك، فكني.

-مش قبل ما نروح المحل والرجالة تشوفك ونشوف مين فينا اللي مجنون، أنا ولا أنت؟ وأهو وصلنا. هفتح المحل واجيلك يا خفيف.

-يلاه قوم ادخل المحل وأوعى تحاول تضحك عليا زي القصة الساذجة بتاعة الذكريات، العب غيرها.

-يا إخوانا.. يا ناس.. الراجل دا خطفني.. فين البوليس؟

-بوليس ايه وناس مين، محدش صاحي يا شاطر لسه، ومفيش حد غيري أنا وأنت، والناس كلها هنا عارفني أنا راجل نظيف مش هخطف عيل زيك.

-أهو فاروق جه، تعالى يا فاروق اسمع القصة دي معايا واضحك.

-ايه يا محمد يا خويا مالك بتزعق ليه؟

-شايف الأستاذ دا الأول ولا لا؟

-شايفه أيوة، دا سؤال ع الصبح؟ ورابطه ليه دا؟

-استنى بس أهو منعم وكامل جم كمان يسمعوا ويضحكوا معانا.

-أنت يا راجل يا عجوز فكني واسمع كلامي، كل دا وهم وهم.

-وهم؟ أومال دول ايه؟ أهو فاروق ومنعم وكامل قدامك أهو، شايفن الجدع دا يا رجالة؟

-أيوة شايفينه.

-أول حجة طلعت كدب، قلتلي ايه كمان عشان تبقى جنيت على نفسك؟

-طيب فكني أرجوك هموت.

-متفكه يا محمد يا خويا وإحنا الأربعة على الباب أهو مستحيل يهرب مننا.

-لا أوعي تفكه يا كامل، دا لازم أوديه القسم دا.

-عملتلك ايه بس؟

-عملتلي ايه؟ أنت جي تجنني وتموتني وأنا عايش، ودخلت بيتي ويا عالم كنت جي تسرق ايه وإزاي وتقولي عملت ايه؟

-حصل الكلام دا فعلا يا عم محمد؟ لا دا احنا نروقهولك على الآخر ويروح القسم يتروق تاني بعون الله.

-أيوة حصل يا رجالة، بقى الأخ أصحى ألقيه في خلقتي ويقولي أنت ميت وأنا جيلك من زمن تاني وكلام أهبل كده.

-طيب أنا هثبتلك إني صح وإنك غلط يا عجوز يا مجنون، اسمع واسمعوا انتم كمان، ماشي؟ هسألكم والبينة على من ادعى. ماشي؟

-اسأل.. واحنا هنخاف؟

-طيب أنت يا عم محمد فاكر إمبارح عملت ايه؟

-يادي السؤال دا، أنا راجل عجوز وروتيني واحد، قلتلك بدل المرة ألف، واقدر افتكر عادي بس آخد وقتي.

-طيب أنت يا عم فاروق فاكر حصل ايه إمبارح معاك؟

-أها فاكر، قفلت الدكانة مع عم محمد ومنعم وكامل ورحت اتغديت بامية في البيت.

-طيب تقدر تقولي فين بيتك؟

-اسئلة عجيبة طبعًا، أقولك بيتي في محطة مصر يا خويا.

-طيب طيب.. متجوز صح؟

-أها متجوز طبعًا.

-تعرف تاريخ زواجك يوم ايه؟

-ها؟! لا مش فاكر، أنا أصلا مبهتمش بالحجات دي.

-طيب تقدر تقولي اسم مدرستك أي الي اتعلمت فيها؟

-بردو مش فاكر، أنت شطان ولا ايه؟

-طيب أنت يا عم منعم فاكر حصل ايه إمبارح معاك بعد ما قفلت؟

-ها؟ ساكت ليه؟

-طيب أنت يا عم كامل ابنك خبط العربية وخدها من وراك.. صح؟

-أيوة حصل واديته علقة لما رجع كمان، أنا فاكر أهو؟

-طيب فاكر كان في الشارع بحجة ايه؟ فاكر اتغديت ايه إمبارح؟

-أنا.. أنا لا مش فاكر.

-ولا حد فيكم هيفتكر حاجة، هما مجرد ذكريات في حياتك يا عم محمد، مستحيل تكون عارف عنهم كل حاجة غير اللي اتحكالك، فهمت؟

-أنت جي تجنني يا بني، أنا عملتلك ايه، أذيتك في ايه بس؟

-مكنتش جي اضايقك يا عم محمد صدقني، ممكن نقعد نتكلم وأفهمك، عارف إن موضوع صعب عليك فهمه أو تقبله حتى، بس حاول؟

-واضح إن كلامك صح واني مجرد شيء مش فاهم ايه هو، حتي الناس في الشارع اختفت من قدامي وفاروق ومنعم وكامل كمان، الحاجات بتتشوش قدامي كإني عايش جوه وهم؟

-أهم حاجه ياعم محمد دلوقتي تهدى ومتتصرفش تصرفات انفعالية أرجوك.

-يعني أي تصرفات انفعالية، عاوزني أموت وأنا ساكت، عايز اسمع إني ميت وإن كل دا وهم واسكت، سيبني يا بني، أنت كنت عايز أفكك وأسيبك تمشي، يلا أهو فكيتك، امشي.

-امشي ومتجيش هنا تاني أرجوك، امشي .

-أنا آسف يا عم محمد، آسف على كل شيء.

-آسف ايه، سيبني لوحدي أرجوك، أنا معملتش حاجة وحشة في حد عشان كل دا، سيبني أنا كنت عايش لوحدي وايه يعني ناسي امبارح ومالو، لكن إني ميت وأنا عايش؟

-طيب ياتري انا كنت شخص كويس ولا إنسان سيء؟

-عملت ايه في حياتي ولا أنا معشتش أساسًا؟

-كل الي بتعمله ياعم محمد ده مش حيفيد في شيء، أرجوك دا ضرر ليا أنا، أنت كده بتأذيني أنا، اهدى ارجوك؟

-امشي بقى، امشي، كنت عايز تمشي امشي فكيتك أهو، ومتحكمش عليا أحس ازاي، امشي.

-عم محمد أرجوك هتموتني بالشكل دا وأنا هضيع معاك، شايف الدنيا بتختفي بسببك، الذكريات هتتمسح كده يا راجل يا عجوز، هتموتني وتضيعني معاك.

-ما تضيع ولا تموت اشمعنا أنا اللي موتوني وأنا عايش، اختفي زي عادتك ولا موت وأنت ساكت، ولو الحزن بيخفي الناس والحجات خلي كل حاجه تختفي ودي ذكرياتي. أهو هزعل وهزعق، البيوت هتقع مش مهم، في تسونامي كمان؟ مش مهم. برق رعد نيازك أي حاجة مش مهم، خلصني من الحياة دي، حياة مريضة زي دي لازم تخلص كده، نهاية تناسبها اختفيت تاني اهو وسبتني أنا أواجه الانهيار؟

الفصل الحادي عشر

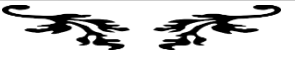

-عم محمد؟

-أخيرًا إنسان، أيوة أنا هنا مين؟

-استنى أفتحلك الباب.

-إزيك يا عم محمد؟ ايه روحت تدور على الدكانة النهاردا، لقيت حاجة؟

-أنت جي تتريق عليا، كام سنة دلوقتي ولا مر أد ايه على آخر مرة جيت تحكيلي القصة السخيفة عن إني ميت، أنا ناسي كل حاجة؟

-لا أبدًا مش جي أتريق، عليك بس أنت رجعت البيت، يعني يأست من التدوير؟

-لا ميأستش بس بطلت أحاول مش أكتر.

-أنت فاكر أنا قلتلك ايه آخر مرة؟

-فاكر إني ميت يعني؟ وإن كل اللي أنا عايشه دا وهم أو خيال؟ رجعت تاني ليه؟ أنت مش اختفيت وضيعتني، والمحل اختفى والحياة اللي كنت عايشها اختفت، كامل وفاروق ومنعم اختفوا، والناس اختفت والشمس اختفت وأنا ميت؟ عايز ايه أكتر من كده؟

-رجعت أفهمك، من حقك تعرف الحقيقية كاملة، دا أول سبب، أنا آسف يا عم محمد، آسف على كل شيء.

-انت مش آسف، أنت مضطر، صح؟ محتاجني ومحتاج مساعدتي في حاجة، صح؟ آخر مرة شفتك من سنين قلت كده، صح؟

-صح.. بس المفروض أصلا متفتكرنيش يا عم محمد، كل اللي حصل دا مكنش المفروض يحصل، كل دا مكنش المفروض يحصل، أنا آسف.

-ايه اللي مفروض يحصل، أموت وأنا ساكت يعني؟ أنا بس عايز أفهم.. أنا ميت يعني؟ أنا فيها بعد الموت؟

-هشرحلك كل حاجة.

-اشرح أنا مش هتعصب ومش هزعل، أنا تعبت من المحاولة ومن كل دا.

-أنا حاولت أموت نفسي بس مش بموت، مهما عملت مش بموت، هو ده اللي بعد الموت؟ هو دا العذاب؟قول وفهمني؟

-هفهمك بس اهدى واسمعنى.

-أنا انسان زيي زيك يا عم محمد، بس أنا عايش بعد موتك، يعني حاليًا في زمني أنت ميت، فاكر في يوم سمعت عن أي اختراع اسمه استخلاص الذكريات؟

-مش فاكر أي، حاجة اكيد أنت عارف.

-عشان كده عايزك تسمعني.. الاختراع اللي عملوه دا بياخد ذكريات الناس اللي ماتت وبيسجلها زي شريط الفيديو بس بطريقه أكتر تطور، بيخليك تقدر تشوف الذكريات دي وتكون فيها زي ما كنت أنا في ذكرياتك، شايفها زي فيلم الفيديو بالظبط، أو بمعنى أدق حلم ماليش تأثير على أحداثه ولا الأماكن ولا أقدر أغير في شيء؛ لا مكان ولا زمان ولا كوباية ميه حتى.. فهمتني؟

-يعني ميت وكل دا حلم وهصحى منه؟

-لا يا عم محمد مش حلم ومش هتصحى منه، ومتبصليش بصة الأمل دي أنا مش السبب صدقني انك ميت في المستقبل لكن حي.

-يعني أنت جي من المستقبل علشان تعيش في حياتي؟

-لا بردو أنت حياتك انتهت، ميت قريب جدًا في زماني ودي ذكرياتك، يعني أيًا كان اللي بتعمله واللي هتعمله مش هيأثر لأنك أنت ميت بالفعل، كل اللي عايش منك الذكريات اللي فضلت في مخك وقت ما مت، يعني مستحيل هتقدر تفتكر كل الأيام اللي فاتت ولا الأحداث اللي عشتها كلها.

-الموضوع يا عم محمد اختراع استخلاص الذكريات دا خلي الناس تقدر تاخد الذكريات اللي في دماغ الإنسان لما يتوفى ونحفظها ونستخدمها بعد كده ونتفرج عليها، أو بمعنى أدق نعيش فيها، نشوف مثلًا عشت ايه، اشتغلت ايه، كلت ايه، زعلت أمتى، واجهت ايه في حياتك. إنما أنا مش بغير الواقع بتاعك لأنه ببساطة انتهى، أنت ميت خلاص واللي فضل منك مجرد ذكريات بناخدها، فهمتني؟

-يعني عايز تقول إني عشت وإني حاليًا عايش، صح؟

-أيوة أنت حاليًا عايش منك جزء الذكريات اللي أنا بستخدمه، أو بمعنى أدق اللي عايش منك، اللي إحنا فيه دلوقتي لحظات، اثر فيك لحظات أنت فاكرها وفضلت عايشة في مخك وذاكرتك لحد ما جت لحظة وفاتك.

-يعني أنا عشت ومكنتش مجنون؟

-لا مكنتش مجنون عيشت حياة كاملة كمان.

-بجد؟

-أيوة أنت عشت حياة كاملة، المشكلة جت هنا، أنا آسف في قسوة اللي بقولهولك.

-مفيش أقسى من العيشة لوحدي، معرفة إني ميت دا مش قسوة يا بني، أنا واحد مش فاكر حصل ايه ولا أنا ليه هنا لوحدي، أظن دا أقسى كتير من حقيقة إن حياتي انتهت، المهم إنها انتهت وإني وصلت للبشر حتى لو أنا ميت.

- تخيل معايا يا عم محمد تقدر تعيش حياة كام واحد وفي نفس الوقت متحتجش تاخد قرار عنه، يعني لا هتتعب نفسك ولا تفكيرك في مصيره لإنه ميت، ولا هتخاف، مجرد مشاعر وذكريات خام.

-مين يكره يشوف حياة غيره من غير مسؤولية وجوده وتحمل حياته، ولا ياخد رد فعل عليها. الوحيد الخسران في الموضوع هو المسكين اللي مات، لا استفاد في حياته وخلتوها أحسن ولا مات وارتاح .

-الشئ الغريب يا عم محمد هو إن مكنش المفروض أنا كمان اتأثر بذكرياتك، يعني مكنش المفروض يحصل بينا تواصل لإن دا مستحيل يحصل، حتى لو أنا حاولت دا الشيء اللي عمره ما حصل معايا ولا حصل لحد إزاي تقدر تشوفني، ولا وأنا قاعد أتكلم معاك كمان، وحتى لو اتكلمنا وحصل التواصل دا إزاي تقدر تاخد رد فعل على شيء محصلش وتأثر عليا كمان؟

-يعني ايه أثر عليك، ايه تأثيري عليك؟

-علشان نشوف الذكريات الخاصة بيك أو أي حد منتهي بنلبس نظارة زي بتاعة الغواصين، أيامك بنحط فيها كارت فيه الذكريات وبس كده، المفروض أنا ليا السيطرة الكاملة إن أنهي الحلم أو أنهي الذكريات، أوقفها وأقوم، لكن أنا مش قادر أعمل كده.

-اها.. عشان كده محتاجني؟

-أيوة.. فاكر لما اضايقت في المحل لما حكيتلك على إنك ميت؟

-أيوة فاكر.

-وقتها مكنش المفروض تحس لإن دي ذكريات.. أيوة هي مشاعر لكن اللي جواها مالوش تأثير عليها، يعني متقدرش تخرج عن نطاق اللي حصلك وقتها، المهم إن كل اللي حصل معاك مستحيل، وكله المفروض ميحصلش، وحاليا أنا محبوس هنا مش قادر اتحكم في نفسي واصحى.

-وايه المطلوب مني عشان أساعدك؟

-تنساني يا عم محمد، شيء مستحيل ذكريات تحس وتفتكر وتعرف وتدرك وتتفاعل، دا مستحيل.

-نفسي انساك فعلًا وانسى كل اللي حصل وارجع تاني مش فاكر حصل ايه، بس أنا فاكر ومش ناسيك ومش عارف ليه، مهما مر الوقت بنسى كل شيء وافتكرك لما اشوفك، ومع ذلك طالما أنت مش عارف تخرج ومش عارف ترجع لحياتك متساعدني افتكر، ساعدني أعرف، مفيش أي طريقة افتكر؟

-يعني أنا لسه بقولك انسى تقولي افتكر؟

-أنا عايز انساك، بس عايز افتكر اللي حصلي، أرجوك ساعدني أعرف أفتكر، وأنا اوعدك هحاول أنساك، رغم كل شيء أنا فرحان بوجودك المرة دي.

-أنا مش قادر استوعب إزاي ما زلت أنت قادر تحس وتغير ذكريات انتهت، وكمان تكلمني وتتعامل معايا مع إنك.. وآسف، كل اللي فاضل منك شوية الذكريات.

-يعني إنك في ذكرياتي اللي انتهت دا شيء مش مستحيل، أنا لو حد قالي كده وانا في حياتي كنت شديته لمستشفى المجانين أو القسم.. أيهما أقرب.

-حاجات كتير اتغيرت عن زمان، صح؟

-صحيح يا بني طالما فتحت سيرة الحاجات اللي اتغيرت عن زمان، فين الناس، فين الشمس والنهار؟

-وليه دا من تأثيري بردو؟ يعني الناس كويسين وأنا اللي ميت وذكرياتي خربت زي ما قولتلي ولا ايه القصة؟

-كل دا مش مهم يا عم محمد، المهم نتفق ونوصل لنقطة أقدر أخرج فيها وأرجع لحياتي، ووقتها أوعدك هخرج أدمر ذكرياتك كلها، ولكن طالما عندنا وقت ممكن أحكيلك حصل ايه للعالم.

الفصل الثاني عشر

-"هل قبل كدة قصة يأجوج ومأجوج؟"

- هحكيهالك.. لكن مش من ناحية دينية أبدًا، علمتني كده، صح؟

-يأجوج ومأجوج حسب القصص الدينية هما قوم كثيرو العدد جدًا، قد يشربون بحيرة لكثرة عددهم، وأنهم سوف يبيدون الإنسانية ويقضوا على الحياة كلها بشكل كامل، إلى أن يأذن الله بمرض يقضي عليهم.

-هل ظهروا وأنا عايش وقضوا على الناس كلها إلا أنا، دا قصدك؟ طيب إزاي أنت عايش وجي من المستقبل وفي غيرك عايشين، ولا ماقبلتش منهم حد وأبادني وريحني من الحياة دي؟

-لا مش بحكيلك القصة علشان أقولك إن يأجوج ومأجوج ظهروا، وزي ماقُلتلي قبل كده مش بحاول أقنعك بشيء ولا أكفرك بشيء، ولكن هل فكرت يومًا ما إن يأجوج ومأجوج ممكن نكون إحنا البشر؟

-يعني ايه؟

-يعني مش يمكن إحنا اللي هنفسد في الأرض وننهيها كلها ونخليها خراب؟

-أخاف يا عم محمد إن ده اللي حصل في الأرض وإننا لم نترك ليأجوج ومأجوج شيء.

-وصلنا من الرفاهية إن مفيش حلم نحلمه، شيء نطمح إليه، ولم نترك شيء للرجوع إليه كنوع من التحرر والخروج من المدينة، لم يعد موجود

ملايين من البشر لم يعد يعرف شكل الشجر، لم يرَ البحر بعينه، لم نعد نعرف شيئًا عن العصافير، وما خلف هذه السحابة السوداء.

-بعد فترة من الزمان كعادة الإنسان، بعد أن يُفنى في الوصول للقمة يبدأ بالبحث عن قمة جديدة لتسلقها واكتشافها، ولكن لم يعد هناك شيء. هو دا اللي حصل. إلي أن اكتشفوا استخلاص الذكريات. رُفع سقف طموحنا تاني، أو علي الأقل أعطى الجميع فرصة لحلم جديد حتي لو حلم انتهى.

الناس في زمانا مبقتش تهتم بالفلوس عشان تشتري عربية ولا بيت فخم، الناس عايزة تشتري حلم أحلى تحلمه في يومها، الناس أفنوا بعض بكل الطرق والأساليب، واللي باقي من البشر اللي قدروا يعيشوا في سلام متجمعين فيما يشبه المدينة الفاضلة؛ مش فاضلة بالأخلاق، لا.. فاضلة للبقاء، فاضلة حتى لا ننتهي ونزول.

-البشر للأسف على وشك الفناء يا عم محمد، عايشين زي النمل بنجمع عشان ننجو الشتاء القادم، والمنتج الوحيد الي بننتجه هو الذكريات، حاجة تحلم بيها، الكون بنعرفه من اللي عاش قبلنا زيك كده يا عم محمد، بنعيش حياتك عشان نحس إننا عايشين، بنحلم حلمك أنت، إحنا نمل.. مجرد آخر شوية نمل.

-كل اللي نعرفه عن الحياة هو التجميع والاختباء وللأسف الناس بتموت بسرعة بسبب الأوبئة والحرائق والاحتباس الحراري، ومعدش حد قادر يجيب طفل للعالم سليم، مفيش جيل جديد نحارب عشان حياته، إحنا بس كل اللي فاضل وقريب هننتهي، أمثالنا من النمل ليس لديه حلم، ليس لديه ذكريات، كل اللي عايشين لم يحلم منهم أحد، هتحلم بايه وأنت

كل حياتك بتعيشها عشان بكرة اللي مش بيجي ولو كلنا خلصنا الذكريات اللي استخلصناها وعشناها لن يتبقى لنا شيء لكي نحلم به. إحنا مفرغين، لا نعرف حب ولا سماء ولا أرض ولا نجوم، ديمًا ظلام حتى الحزن والفرح والموت عندنا زي الحياة، لن تشعر بها سوى في ذكريات أحدهم .

-طيب دا اللي حصلكم وفهمته، الناس سابت المدن واتجمعوا في شكل منظم علشان نستمر كنوع أو عشان تفضل الإنسانية، صح؟

-أيوة بالظبط.

-طيب وأنا.. أين أنا من كل هذا؟ أين أنا من المستعمرة، ليه سيبتوا نملة وراكم؟

-للأسف ذكرياتك اللي موجودة كلها مفيهاش أي شيء يدل على السبب، سبب بقائك هنا في المدينة لوحدك؟

-والأغرب طبعًا كان اللي حصل وبيحصل.. إني مش قادر أخرج من الذكريات وإنك بتكلمني وبنتبادل الحديث والأفكار، وإن مش كل ذكرياتك مترتبة، ولا الأحداث كاملة. يعني في فترات زمنية كبيرة مش موجودة أبدًا، ولا قادر أعرف حصلك ايه.

-وتفتكر لو نسيتك هتقدر ترجع لحياتك وتخرج من الذكريات بتاعتي؟

-معرفش للأسف ايه الحل أو ايه طريق الخروج، دا عمره ما حصل في أي ذكريات دخلتها، وزود على دا كمان إني فقدت السيطرة. يعني كنت أقدر أعيد ذكرى محددة زي يوم الدكان، كنت أقدر أشوفه أكتر من مرة بسهولة، حاليًا أنا مش قادر أسيطر على شيء، في قوة تانية مسيطرة بتحرك

الأحداث، كل ما أسيبك وأحاول أرجع أو أطلع برجع ليك تاني كإني مربوط هنا معاك.

-طيب أنا هحاول اساعدك وأنساك، مش لشيء غير لإن عاوز دا ينتهي هو قد يكون أنا مش عايش غير هنا في ذكرياتي، بس دا عذاب ليا، صح؟

-أوعدك يا عم محمد اخرج من هنا ومستحيل ارجع تاني وذكرياتك همسحها تمامًا.

-هو ذكرياتي بتتوزع زي المجلات، يعني ممكن مليون واحد يشوفها؟

-لحد دلوقتي مفيش تقنية الطباعة أو النسخ، يعني هي شريحة واحدة ليك بنتداولها أو بنعرضها للبيع لأعلى سعر وحسب تقييم محتواها طبعا إن كانت تستحق سعر أعلى، وهكذا.

-طيب وأنا ذكرياتي بكام؟

-ههه.. أنا آسف أقولك إنها رخيصة جدًا لإن فيها أحداث ضايعة كتير، مالهاش قيمة للأسف.

-أرجوك لما تخرج تنهيها بأي شكل، مش عاوز أكون سلعة على آخر العمر ورخيصة كمان. دا شرطي لمساعدتك؟

-موافق.

-نبدأ منين يابني؟

-مفكرتش.. لكن هي طريقة واحدة اللي أنا أحاول اتجنبك لحد ما الأمر يخلص كل الذكريات، وطالما مشفتنيش أعتقد هتنساني بعد موقف أو اتنين، وكده أرجع تاني لسيطرتي واقدر اخرج، ايه رأيك يا عم محمد؟

-والله كلام معقول، نجرب ومالو، يعني هرجع وحيد تاني للأسف؟

-أنا آسف يا عم محمد، وأوعدك لما أخرج همسح الذكريات دي فورًا، أنت متستاهلش كل دا، أنا آسف.

-خلاص يا بني كفاية أسف على شيء منتهي، المهم الوعد يتنفذ.

-أوعدك.. مع السلامة يا عم محمد.

-سؤال أخير يا بني؟

-اتفضل يا عم محمد؟

-يوسف.. أنت مشيت يا بني. أخخ.. مشي وأنا من غبائي نسيت أسأله إزاي لاقوني واخدوا ذكرياتي وأنا كنت في المدينة لوحدي؟

- خلاص بقي يا محمد متبقاش فضولي أوي، انسى.. مجتش على دي وعاوز تفتكر، انسى وعيش اللي فاضل في سلام متبقاش عجوز سخيف أومال.

-بس ليه أنا مضطر أموت كده فعلا، مش يمكن لو حاولت ألقى طريق أخرج وأعيش؟

-إزاي هخرج وأعيش وأنا ميت في الأساس، كل اللي بعمله أخرته واحدة لإنه انتهى، متبقاش عجوز سخيف زي عادتك، طيب مش أنا ما زلت معرفش حصلي ايه؟

-هيحصل ايه طالما مفيش شيء أخاف منه، لازم أجرب طالما مش قادر أنسى، ليه محاولش افتكر مش يمكن الحل في إني أفتكر وانسى يوسف في نفس الوقت؟

مللت من البقاء هنا وحيدًا دون المحاولة، سأحاول، لن أجلس مكتوف الأيدي طالما كده كده ميت، والنتيجة فعلًا واحدة، ويبدو إن اللي عملته كان أخرته الموت، أحاول مش عشان أنجى بحياتي عشان انتظار الموت أصعب عليا من الموت نفسه، لازم أعمل كده، لازم.

لكي أكون أول ميت مات وبعدها حاول يعيش على الأقل عشان يرضي قطعة اللحم ولا قطعة الحديد اللي فاضلة منه.

سوف ابدأ من هنا مجددًا، سوف أعود لمنزلي وأبحث في أشيائي لعلي أتذكر شيئًا، نعم هذه البداية، سوف أتوه قليلًا، وما المانع؟ كده كده ميت. سوف أنام وأستيقظ لأبدأ التحرك. أثار يوسف فضولي في معرفة هل نحن فعلًا يأجوج ومأجوج، نام يا عجوز مش وقت تفكير وفلسفة سوف أرتاح قليلًا ثم أذهب للبيت.

أصبح لدي أسئلة كثيرة، على أحدهم إجابتها الآن.

الفصل الثالث عشر

ها أنا ذا رجعت للمنزل بعد بحث طويل، المنزل ليس مجرد حوائط كبيرة في نظري، إنه الشعور بالأمان. ولكني لا أشعر بالأمان، حسنًا.. أتذكر أمس وهذا شيء جيد، للمرة الأولى أتذكر الأحداث، أتذكر الأمس والشاب يوسف، واتفقنا عدا هذا لا شيء أبدًا؟

علي البحث (عن أيه مش عارف)، ولكن علي البدء من نقطة ما، سوف أنظف المنزل وأرتبه وأحاول التذكر، يوجد أشياء أراها للمرة الأولى هنا، كتلك الصورة الفوتوغرافية الموضوعة على الكومدينو بجوار السرير، إنه أنا ومعي سيدة ما بالصورة، اعتقد أن تكون زوجتي، سوف أحاول أن أتذكر، هيا هيا سوف أتذكر، نعم.

كأن الصورة تكتمل أمامي، أنا جالس على الأريكة أمام التلفاز، وبجواري هي، وتخيط شيئا.. بنطال ممزق لطفل صغير الحجم، نشاهد التلفاز الجديد اللي لسه مشترينه قبل كدة، كانت الشاشات ذات صندوق كبير الحجم محتاجه تلاتة يشلوها.

المذيع يتحدث عن اختراع جديد سوف يغزو العالم قريبًا.

سوف يجعل العالم أفضل، لم يخبرونا بالكثير في الأخبار على التلفاز، أنا كنت أحاول أن أكمل روايتي الأولى التي لم أستطع أن أنهيها بشبابي عندما كنت أحاول أن أتمرد على الواقع وأن أتغلب على شعوري بالغرق، حتي في الحياة العادية. أن تقتل رجلًا بالرصاص وإن كان بقسوة، فهي أرحم الطرق، سوف يعاني فقط مرة، سوف يتألم مرة، مهما كان وزن الرصاصة

وسرعتها وعددها. أما القتل غير الرحيم فهو قتل روح إنسان حلمه إيمانه بالأشياء، قتل ثقته بإنسانيته، أن تشير دومًا إلى قبحه. أخطر الأسلحة التي دوما يمتلكها الإنسان ليست أبدا تلك التي تلكم وجهك ولا التي تصيبك فترديك أرضا غارقا بالدماء، ليس حتى حرقه حيا، وانما كانت إزاء المكنون إزاء ما نحن عليه، قد لا تستطيع قتله بيدك ولكن تسطيع خنقه بأفعالك، وكلماتك قد تكبله من قدماه في الأرض بسهولة، وتجرحه جروحا لا تشفى أبدا عليك أن تعتاد العيش معها في النهاية لكن ها أنا ذا في منتصف الثلاثين من العمر، نعم أذكر هذا، كنت قد بدأت أفقد شعري وكل طموحاتي وكأن الأمل الوحيد لي أن أحاول مجددًا الكتابة واستكمال روايتي، كانت الكتابة طريقي لأجد الحياة.

أنا اليوم أحيا ككل الناس، ليست كما كنت أظن نفسي طائرا حرا محلقا، اكتشفت أني لم أكن في النهاية الإنسان المميز الذي دوما ما تمنيته. أنا قربان آخر للفناء، مجرد موظف بسيط بثنايا مكاتب الدولة، موظف يقبض الراتب ويرهق نفسه للمحاولة للوصول للاكتفاء الذاتي الذي هو حلم بعيد، ولتغيير الغسالة للمدام حتى لا تضطر لمسح الارض طوال الأسبوع والركض بالسجاد، وبالطبع طالما وضعت قدمي بهذا الخراء لن تزول الرائحة أبدا، انا اخترت بقاء اسمي وذريتي عن البحث عن الحرية لنفسي وتغيير العالم بالأفكار التي لطالما أردتها.

اليوم أنا الحمار في تلك الساقية، الدورة التي لا تنتهي إلا بموت الحمار أو تغيره كحال الجميع، أعيش على الهامش، لا أحد يهتم لوجودي ولا لموتي .

سحقت كحبة البندق، أنا الذي كنت أترفع عن الفول بشبابي أصبحت مدمنًا عليه، أنا الذي لم أكن أدخن ولم أكن لأفكر بالأمر وكنت لأعطيك

النصائح والعلل والطرق السهلة للإقلاع، أصبحت أدخن كسيارة بلا جمان وفلتر للعادم أنا الذي أقسمت على أن أجد الحب تزوجت بلا حب فتاة عادية وقعدة صالونات، أكاد أقسم أنها لم تخترني لجمالي ووسامتي، ولا لأي سبب غير أنها أرادت مثلي أن تذهب بالحياة بعيدًا أن تؤدي الرسالة التي لا تعرف حتى لما تؤديها، لم تحبني ولم أحبها، ولكننا اتفقنا أن هذا سبب وجودنا نحن كنا من هؤلاء الذين اختاروا سنة الحياة على الحياة نفسها، لا يهم أين أو متى ولكن هذه سنة الحياة، أن تتكاثر بلا سبب أن تتزوج وتنجب أن تعرف ما المستور تحت ملابس الفتاة الجميلة، أردت أن تكون ملكي أن تشاركني فراشي أن تكون طباختي أن تكون لي وأرادت هي الأمان والحب والمنزل والعائلة الخاصة.

أغلب الظن لن تجد أسبابًا أكثر من هذه تدفعك لهذا النوع من الزواج سوى أن القطار فاتك أو دهسك وأنت واقف بالمحطة. أن تتزوج دون حب هو مجرد سخف بؤس حتى لن يكون أكثر من مجرد تصادم أجساد. أنا الذي كنت أنام بالفجر لم أعد أتجاوز الحادية عشرة أمام التلفاز حتى يسقط الريموت من يدي. أنا الذي وعدت ألا أهرب حينما صدمني الموج ورماني على الشاطئ حرقت سفينتي واشتريت بفلوسها بمبرز للأولاد كافي خيري شري أدفع الأقساط ومصاريف المدارس وبطاطين الشتاء أنام بنصف عين معظم الوقت خائفًا كأن ذئبًا خلف الباب أنظر على أبنائي أتمنى أن أحكي لهم عن أشياء مشرفة فعلتها أو مغامرات خضتها وأحلام حققتها، ولكن لا نهاية سعيدة أذكرها غير قصتي التي انتهت بعملي بالمثل القائل "امشي جمب الحيطة" فأنا والله أصبحت أن أمشي تحت الحيط لا جانبه إيماني بأن عليك ألا تقبل الأمر وأن تقاتل تلاشي جندي انتظر

الحرب طول عمره، وحينما سقطت ورقة شجرة على رأسه، ترك السلاح وأطلق ساقية للريح أظن أني دومًا ما كنت أحلم كنت وسوف أكون كالجميع لما زرع برأسي تلك الفكرة من البداية؟ إن لم أكن سوف أغير شيئًا لما حلمت وكيف لشخص مثلي أن يحلم؟ أكنت أريد أن أخالف الطبيعة والقدر؟

تركت الحياة تجرني أينما أرادت إنه حال الجميع وكل ما أرادت، لم أعترض قط بالنهاية ظننت بفترة ما أني أملك العالم إلى أن اكتشفت أني كنت وقف ببرج عال كما فعل فرعون وهمان عهدتني صلد أصبحت ككوب الزجاج.

أنا لست بريءً بفعلتي ولا بريءً منها، أضعت نصف عمري في البحث عمن أكون، ولكني كلما اقتربت، ابتعدت كذلك البحار الذي رأى عروسة البحر وندهت عليه تعالة وكلما اقترب، سحبته أكثر للعمق أنا أول ما ندهت عليا رجعت الشط ولكني لست سيئًا جدًا بالنهاية، لقد فعلت ما أستطيع لمن أصبحوا مسؤولين مني أني بحق من الأبطال حملت العبء كوالدي وكالآباء الآخرين كيف استطاعوا أن يحملوا كل هذا وأن يأتوك بابتسامة في المساء؟ كيف تعرف أن الغد تكرار لليوم وتضحك؟ كيف تخاف على من تحب وبتخبره أن الأمور سوف تكون بخير ووالله لا أدري إن كنت أستطيع أن أكمل الأسبوع مكرمًا أو مهانًا، إنها والله ليست بهينة أن تنظر في عين طفل وتخبره أن كل الأشياء بخير وهي ليست كذلك تحتاج لقدره ما على الخيال والتصديق والقوة لن تعرف هذا إلا أن حين تكون مكانه، كأن تكذب كذبة وتصدقها ما أجمل عين الأطفال وامرأة غارقة في الحب.

لعل ليس لدي أفضل القصص لأحكيها وأرويها، ولكني راض عما فعلت.

أنا اليوم هنا كحال كل المحبطين أو العادين أقول شعرًا يطربك وأكتب كلامًا كأنني ولدت لأملأ به الورق أنا اليوم أتعاطف مع الجميع نحن معشر الراكضون نتفاهم بالنظارات والانكسارات حتى أن أحدهم يطقطق إصبعه فنفهم ما يريد قوله إنا الذي ادعيت أن لما قد أحضر إنسانًا إلى الدنيا وهي بتلك الحال، أحضرت ثلاث، لم أكتفِ بواحد محمد الذي كان يريد أن يكتسب الأشياء لا يسرقها، إن سقط أمامي ربع جنيه فضة لصرفته.

أنا كالذي جرح يداه ويحاول أن يزرع شجرة كتلك التي أخبرتك أني لم أركض يومًا خلف الأتوبيس؟ لقد أصبحت هوايتي المفضلة حتى أني اكتشفت أن لي هواية الركض وراء الأشياء. التهمتني الأشياء والروتين التهمني المدير والصراف التهمني الطفل والشيخ الهرم والبراءة، فما عدت أفرق بين أي شيء لم يعد لي رأي يعجبك، أصبحت أومئ برأسي في كلتا الحالتين إن سألتني عن خطاء، فلا أعرفه وحتى الصواب لم يعد مميزًا عندي، لم أعد أميز الأشياء ولا أصدم بشيء، لعل آخر الأشياء التي تدهشني هو تغير زوجتي لتسريحة شعرها ما عاد عندي حنين لشيء في حالتي لا بأس أن أكون أنانيًا قليلًا فأشتري علبة من السلمون الذي أحبه، أضعت عمري لا هباءً لا، لكني بحثت عن كل شيء، لكن يبدو أن لا شيء بحث عني، لعلي لم أكن مضيءً كفأية أنا لم أتبرأ لما كنت عليه، لعلي لو أكملت ما كتبت بالماضي، لأصبحت فيلسوفًا ما؟ لعلي أصبحت كاتبًا مشهورًا أو غيرت حياة أحدهم ماذا فعلت يا محمد؟ ماذا فعلت لأستقيم

على الأقل أتحرك التحرك ببطيء خير من أن تقف، أنظر خلفي، لعل جزءًا مني ما زال يصدق، لكني أصبحت مفرغًا لعلي لو بذلت أكثر، لكنت هناك حيث أريد أو حيث حلمت يومًا، ولكني ها هنا أشاهد التلفاز متكئًا على الكنبة وزوجتي بجانبي تخيط البلوفر للأولاد بكوب الشاي والكرش المترهل الذي بلعت به أحلامي وأوهامي، لكن ذلك الطفل الذي كان يهرب من المدرسة، ما زال حيًا يُرزَق وما زال يقف خلف الأبواب المغلقة والسور العالي ما زال يتشارك سندوتشات اللانشون والمربي في مقابل صداقة ما لم يجدها لم أقتله تمامًا، ولكني لم أستطع أن أعطيه المفتاح خط طويل من السخفاء، أنا بأولة كالعادة أدركت اللعبة متأخرًا جدًا، إنه الأمل إنه الاختيار، نحن هنا لتعاني، لكن عليك أن تعاني بطريقة؛ لتكون حرًا أو أن تقف وسط السخفاء

في النهاية، أنا لا أدعي دور المظلوم المغلوب على أمره وأنت أيضًا لا تدعي

نحن اخترنا بملء إرادتنا أن نكون هنا، لعل بعض الأشياء فقط أجبرت عليها كعدم اختيارك لوالديك، أما منذ لحظة كان لك ولي الاختيار، فنحن اخترنا بملء إرادتنا اخترت التعاسة اختارت الفراق اخترت الاستسلام الجبان لا الحرب الشريفة اخترت أن تريح عقلك بالمنطق البسيط لا أن تغير موضع قدمك بالنهاية أنا لعلي لا أملك الكثير ولم أغير أيضًا الكثير، ولكني لدي أشياء أخسرها كنظارتي وموعد طبيب الأسنان كصنية الكيكة بلقرن والعشاء الذي وضعت السيدة الفاضلة على الطبلية الآن هناك أيضًا بعض الأشياء الجيدة بلنهاية كقبلة الطفلة الصغيرة فريدة لي وحديثها معي لعلي أزرع فيها ما مات في؟ لعلي أرى نفسي فيها يومًا؟

سوف أربيها لتخرج حرة، سوف أحدثها دومًا عن الحلم والأحلام وأن الحياة ليست شيئًا تفرط فيه بسهولة، وأن ليس كل شيء مفروض وسوف أعلمها كيف تقاتل الجميع لأجل ما تحب ليس لأجل ما أخبرها أنا وأمها به وأن الحوائط والحواجز شيء سخيف عليها هدمه دومًا.

-هيي يا محمد إيه يا راجل مالك ماسك على طول النوتة وقاعد تكتب عينك هتوجعك كدة يا حبيبي قوم يلاة الكيكة هتبرد وزمان العيال جعنين؟

-عاوز أقولك حاجة مهمة سيبي الكيكة شويا وتعالي.

-يا راجل مش وقت كلام قوم.

-اقعدي بس

-قعدنا في إيه مالك جد كدة؟

-إنتي اتجوزتيني ليه؟؟

-هههه إنت جي تهزار دلوقتي وليه بتطلع عليا جنانك بتاع الكتابة؟

-لا أنا لا بهزار ولا مجنون بس عاوزك تعرفي إني بحبك رغم كل شيء.

-يا سلام يا سلام إيه الرضى ده كله.

-صدقني بحبك وحشتني أوي.

-وحشتك فين ما أنا قاعدة جمبك أهو مالك يا محمد؟؟

-يا ستي عارف إنك قعدة جمبي بس وحشتيني بردو وعاوز أقولك حاجة يمكن أنا قاسي أو مش أطيب إنسان شفتيه وبتعصب كتير بس بردو بحبكم وإنتم الحلم الوحيد الي فضلي في الدنيا وقومي نتعشى بقى.

-انصدمت متعرفش إني كنت ناسيهم إزاي دول أهم حاجة في حياتي؟

-بس يا ترى هتروحوا فين وتسيبوني لوحدي يا حبيبي.

-هنيمهم في سرايرهم النهاردا وأبوسهم وأحضنهم ومش هنام أبدًا علشان أفضل معاهم هنا ومرجعش للوحدة تاني ولو فيها نهايتي اختلاط أنفسهم مع نفسي هو ده البيت هو ده الأمان

-الزوجة الجميلة الي تصونك هو ده الأمان عملي إيه الحلم؟

-سبني في العراء سبني وحيد في مدينة فاضية زي الي كنت فيها هو ده الحلم الصحيح.

-إنت هنا يا يوسف؟ معنى كدة إن ده كمان زكرياتي صح؟

-أيوة يا عم محمد بس إنت خالفت اتفاقنا في إن تنسى واهو أنا لسة مش قادر أخرج من زكرياتك بل أنا جيبك من سريرك من حضن مراتك؟

-ما تسبني يابني أقعد في حضنها الدافي شويا عجبك كدة كلهم اختفوا من قدامي تاني ورجعت للوحدة كنت سبني فاكرهم وأنا كنت نسيتك وسطهم أساسًا مش غلطي إنك دخلت زكرياتي إنت الي غلطان وأنا بساعدك ولا نسيت ها؟

-لا منسيتش بس إنت نسيت إنك كمان كنت عاوز تنهي حياتك ولما تخرج أمسح زكرياتي يا يوسف؟

-أيوة بس إيه ضرك لو يوم واحد افتكرت حاجة تفرحني مش حرام عليك؟

-أنا قولتلك وجودك كله معتمد على وجودي إن يعني زكرياتك مالهاش أي معنى من غيري إنت بتستغلني وده شيء صعب على عقل الإنسان يتحمله أنا معرفش جسمانيًا حصلي إيه أو بقالي كام يوم نايم حد عرف إني مش عارف أقوم من زكرياتك ولا لا وغير ده كله إنت بتستهلكني بتستهلكني بدأت أنا نفسي أتوه مش عارف أبعد عنك أروح فين لأن مافيش مكان في الزكريات بتاعتك غير المكان الي إنت فيه الباقي مش قادر أنا أكونه لأن مشفتهوش ومعشتهوش أرجوك ساعدني.

-صدقني يابني أنا مقصدش أأذيك بأفعالي ولكن أهي مرة افتكرت وصدقني افتكرت وأنا بدور مش أكتر لو التدوير بيخلني أفتكر خلاص مش هفتكر.

-أنا مش هسيبك يا عم محمد وهقعد معاك لسببين زي ما قولتلك مش قادر أروح مكان ولا أفضل في مكان بعيد عنك لأن مافيش غير زكرياتك هنا وأنا مليش القدرة على تخيل شيء مشفتهوش وثانيًا علشان نفكر في طريقة تانية لأن واضح إنك مش هتنساني.

-طيب يابني خليك معايا حتى أنا عاوز أعرف منك كام حاجة أولهم متعرفش الزكريات دي تاريخها إيه يعني قديمة عن ما إحنا حاليًا؟

-أكيد أقدم من الزكريات دي لأن كنت معاك ناس وأكيد قبل كمان ما تصحى بالحمام وتروح الدكانة.

-أنا بقول كدة بردو يا رب ولادي ومراتي يكونوا بخير وعيشين لما أرجعلهم.

-ترجع فين يا عم محمد إنت نسيت ولا بتهزار؟

-لامؤاخذة يابني نسيت أيوة خلاص أنا ميت وزكرياتي منتهية وحياتي منتهية وأكيد شخص ميت مش هيرجع يعيش.

-تمام كدة عاوزك متعملش حاجة خارجة عن الزاكريات العادية يعني ببساطة عيش زي ما كنت بتعيش اتفقنا؟

-يعني اعمل إيه؟

-يعني متحاولش تدور على حاجة تفكرك يا عم محمد وإنت في الوقت ده أول مرة كنت بتدور على الدكانة كل يوم تقريبًا وأهم حاجة عندك إنك تاكل وتشرب وبس.

-طيب مش يمكن لو افتكرت المشكلة تتحل؟

-مستحيل لا مش هقدر أستحمل إنت بتستنفذني يا عم محمد الي قادر أفهمه دلوقتي إنك بتفتكر أو بتسخدم زكرياتك بس على مخي كإنك عايش بظبط بس على جسم مش بتاعك مخك مش ليك

-غير إني كمان عندي زكريات زيك الموضوع كل شويا يتعقد أكتر إزاي تقدر تفتكر زكريات جديدة أول مرة أشوفها؟ دماغي هتضيع مني. اهدي يابني اهدي وهتتحل.

الفصل الرابع عشر

-بقالنا كام يوم مشين بنصيحتك أهو والوضع كما هو؟!

-ماتحولش يا عم محمد هنفضل كدة لحد ما الوضع ده يخلص أكيد ده الحل مش هنعمل حاجة جديدة والا هنغير حاجة حصلت لحد ما تنساني أو أعرف أخرج.

-ماشي يابني متتعصبش واهدي دي كانت نصيحتك ولا نسيتها كان عندي سؤال ليك لو تسمحلي؟

-اتفضل؟

-هو أنا موت إزاي تعرف؟!

-لا معرفش موت إزاي ولو عارف مش هقولك علشان كل يوم لازم أقولك وأفكرك المفروض كل ده محصلش محصلش المفروض متعرفنيش المفروض متكلمنيش المفروض متشوفنيش والمفروض محكلكش حاجة فهمت المفروض مافيش أي حوار بينا تمام؟

-إنت ليه بتعملني كإني السبب ديما مع أنا الي مفروض العكس إنت السبب في كل ده إنت والي زيك مين سمحلك وادالك الحق تاخد زكرياتي وتعيشها كمان وتشوف حياتي والي عشته مش دي خصوصية ليه تقتحمها ها رد عليا؟

-سيب يا راجل يا مجنون سيبني؟

-اوعى تفتكر إني علشان ساكت وبساعدك إني فرحان ولا مش حاسس أنا أكتر واحد زعلان هنا أنا مش فاكر ولما افتكرت حاجة حلوة إنت إنت الي ضيعتها مني ولا بتطلب إني أنسى كمان ومدورش أموت وخلاص واوعى تسمح لنفسك تصرخ في وشي تاني يا تحترمني وتحترم إني بساعدك وأنا مش مضطر يا تمشي تغور من هنا ماشي؟

-أنا آسف لو صرخت في وشك مقصدش بس كل يوم عن الي قبله الوضع أسوأ أنا حاسس إني تعبان جدًا أكتر من اليوم الي قبله مرهق جدًا جدًا سمحني.

-مافيش حاجة خلاص المهم هنعمل إيه النهاردا؟

-قولتلك مش هنعمل حاجة أكتر من إننا نقعد في هدوء كدة وبس.

-طيب أنا هروح أشوف أكل وشرب في أي بيت ولا حاجة الأكل خلص.

-ماشي يا عم محمد أنا هرتاح شويا ارتاح ولما ترجع قولي.

-أريد أن أجد لوبيا يا سلام على اللوبية مع اللحمة وهي سخنة غريب تزكرت اللوبية وحبي لها

-سوف أحتفظ بهذه المعلومة يا لي من أحمق كل مرة أحاول مفتكرش أفتكر شيء جديد سوف أتناسى الأشياء حتى أنسى سوف أبحث في هذا السوبر ماركت عن اللوبية المعلبة أكيد في منها لم يخب ظني، سوف أعود ليوسف لأيقظه لنأكل.

-يوسف اصحى يابني يلاه الأكل جاهز لوبيا سخنة الغدا؟

-كل إنت يا عم محمد إنت عمرك شفتني أكلت؟

-وليه متأكلش إيه الغلط في الأكل؟

-أنا لا أأكل أصلًا في زكرياتك كل شويا أفكرك؟

-بس بس خلاص هاكل أنا أنا باكل في زكرياتي ولو في زكريات حد تاني هاكل كمان قوم بس كل يمكن حالتك تتحسن؟

-ماعتقدش الأكل يعمل شيء.

-متعقدهاش هو إنت مش هنا علشان تحلم في زكرياتي أنا موافق إنك تاكل فيها وعزمك فيها على الأكل عادي أظن لو نايم وتحلم وأكلت في الحلم ده خير على رأي المفسرين ولا مبتحبش اللوبيا؟

-هههه ضحكتني يا عم محمد الحقيقة أنا فعلًا عندي رغبة في الأكل ولكن أخاف أأكل يطلع شيء مش بيساعدنا لأن عمري ما أكلت معاك.

-عارف عارف عمرك ما أكلت معايا ودي زكرياتي وعمر ده ما حصل مش يمكن يابني لو أكلت تتحسن جرب قوم استنة أهو طبق من الصيني الي عمري ما أكلت فيه أنا يلاه بسم الله.

-ريحتها تجنن يا عم محمد بتعرف تطبخ كويس أنا ملاحظ؟

-يوه ده أنا طباخ محصلتش أصل زمان وأنا صغير يعني حاجة يجي خمسة وعشرين سنة كدة

-اتخانقوا معايا في البيت علشان أنا أصلي كنت غاوي كتابة وروايات وكنت لسة متخرج جديد

-وكل ما أروح شغل أسيبه وأمشي أسيبه وأمشي لحد ما في البيت زهقوا مني وهاتك يا خناقات.

-ها وبعدين؟؟

-ها إنت عاوزني أحكي؟

-أيوة احكي يا عم محمد مش فرقة طلما جربنا الحل بتاعي ومنفعش يمكن لو إنت حكيت تتحل ثم إن اللوبيا تحب الحكايات احكي، حصل إيه بعد ما اتخنقوا معاك أنا شفت خناقة من دول على فكرة.

-والله طيب يعني متابع معايا المهم الخناقة دي يا سيدي قامت بسبب جوز أختي الكبيرة سخن عليا الجو إخواتي والدتي والوالد واستغل إحنا قعدين نتغدة في يوم أصل إحنا كلنا كنا عيشين في بيت واحد شقة صغيرة سبحان من خلاها تسيع الناس دي أنا وأختين متجوزين وأخويا ومراته وأمي وأبويا، المهم جه اليوم ده متجمعين على الغدا وكان لوبيا بردو وكان هو سواق على عربية في هيئة البريد وقالي يا محمد إنت إيه آخرة قعدتك دي ما تعمل حاجة مفيدة

-وكفايا عبط وكتابة كاتب إيه وبتاع إيه ده إنت كنت فاشل في الدراسة يا جدع وكفايا على الحج والحجة مصريف عليك وإنت شحط أهو ولا عجبك قعدتك وسمعوا الكلمتين دول وعينك متشوف إلا النور كله فتح في أخوك محمد اشتغل وإنت هتقعد جمبي

-ههه أيوة وإنت راجل مش بنت ولازم تتحمل المسؤولية وسيبك من الكلام الفارغ شفت أنا الي حصل بقولك كمل كمل.

-المهم أنا اتكسفت فعلًا ٢٥ سنة وأنا قاعد أكتب وأبويا راجل كبير على المعاش وأمي كانت زيه معاش وأنا فعلًا لازم أريحهم صدقني يابني أنا

مكنتش شخص مدلع ولا سلبي أنا كان نفسي أجيبلهم الدنيا لو أقدر بس في نفس الوقت كان نفسي أعمل حاجة بحبها حتى لو هتعب فيها

-بس نقول إيه للدنيا، قررت وقتها أسيب الكتابة بقى يعني حاولت كذا مرة أنشر الي بكتبه بس شكل فعلًا أنا الي كتابتي وحشة ولا كنت بحلم زي ما بيقولوا بيقولوا إيه زي ما قالوا.

-ها وبعدين؟

-المهم جوز أختي قالي عندنا في البريد عاوزين في قسم التوزيع موظفين وروحت وقررت أعيش وخلاص زي ما تجي تجي.

إيه ده يا عم محمد؟

-إيه مالك؟

-بص لإيدك كدة؟

-إيه ده إزاي ده يحصل؟

-مستحيل إنت رجعت شب يا عم محمد بص في المراية كدة شايف؟

أيوة صحيح فعلًا أنا مش مصدق عنيا كان نفسي أشوف شكلي قبل ما شعري يطير كله عامل إزاي شايف يا ولا يا يوسف عم محمد عمك إيه بقى ده أنا أشبى منك يا ولا شايف محمد أخوك بقى عامل إزاي؟

-أيوة يا عم تلاقيك كنت موقع البنات كلها وإنت شب طول وعرض يا سيدي ههه.

-اشتغلنا في الحسد أهو ياريت بس كان في نور علشان الواحد يشوف كويس بدل الشمعة دي.

-إيه ده الكهربا كمان اشتغلت إزاي كدة يا عم محمد؟؟!

-والله ما أعرف أنا على يدك أهو كنت بقولك ياريت الظاهر النهاردا يوم السعد شايف البيت في النور أحلى إزاي؟؟

-لا أنا فهمت يا عم محمد الي حصل إنت بزكرياتك وأنا بعقلي وباقي الحجات بنكمل الصورة ونغير في الي حولينا إنت دلوقتي الي بتتحكم في الزكريات مش أنا يا عم محمد.

-أخيرًا حاجة اتغيرت يا يوسف سامع العصافير دي كمان؟؟ سامع صوت القطار ما أصل محطة القطار قريبة من هنا سامع؟؟

-أيوة سامع بس ده شيء يخوف بردو إنت دلوقتي الي بتتحكم فيا وفي زكرياتك يعني فوق إنك بتستهلك مني إحنا الاتنين هنا ويا عالم يحصل إيه لينا عاوزين نخلي بالنا يا عم محمد.

-حاضر يابني السبت اتنين وعشرين فبراير النهاردا سنة ١٩٦٠ النتيجة المتعلقة مظبوطة أهي شايف؟

-واضح إن ده بيتك من وقتها؟

-أيوة أنا كنت وقتها لسة متجوزتش بس كنت استقليت من البيت بسبب الخناقات وفاكر النهاردا ده يوم رفدي من شغل البريد أنا فاكر تعالة يا يوسف تعالة خد البس هدوم من بتاعتي تليق عليك تصدق أنا أول مرة أفكر إنت لابس إيه؟

-فعلًا وليه أنا أول مرة أشوف نفسي وأفكر أنا لابس إيه من ساعة ما شفتك.

-شايف يا ولا الشياكة بنطلون ترجال إنما إيه وقميص أبيض والكسكيتة هتاكل مننا حتة يلاة بينا هتنبسط أوي النهاردا بلي هتشوفه يا يوسف.

-إحنا فين يا عم محمد أنهي مدينة ولا أنهي حي؟

-إحنا في حتة في إسكندرية اسمها محرم بيك حي من الأقدم في إسكندرية واصبر هيعجبك أوي.

-الله أهلًا أهلًا أهلًا صباح الخير بالجار العزيز إزيك يا حسن يا بتاع الصبون زحلق هههه؟

-صباح النور اصتبح وقول يا صبح يا محمد بلاش على الصبح وقدام الناس كدة؟

-معرفتكش بأخويا يوسف؟

-أهلًا يا أستاذ يوسف مزاج أخوك محمد رايق طبعًا بعد ما غلب العشرة دومنا إمبارح نورت يا أستاذ.

-يلاة نستأذن إحنا يا حسن علشان عندنا مشوار مهم وحاسب تتزحلق وإنت نازل هههه.

-خد بالك إن حسن شفني المرة دي ومستغربش وجودي وليه تسأل عليه؟

-أيوة خدت بالي مع إنه عارف إن أخويا الكبير مسموش حسن اسمه أسامة بس يظهر زي ماقولتلي أنا الي بتحكم في الزكريات فأكيد مستغربش إنه نغير دي صح، المهم زي ما إنت شايف آخر شارعنا كان سد بردو وتبص يمينك كدة آخر الزقاق عم مجدي بتاع الفول يلاة نجيب سندوتشاتنا تعالة معايا نجيب سندوتشات من المحل الي في الزقاق ده اسم

الزقاق الكاب معرفش ليه من ساعة ما ساكنت وهو كاب تحب الفول ولا الفلافل؟

-سؤال صعب إنت بتحب إيه يا عم محمد؟

-أنا فول وفلافل وبطاطس واهو المحل.

-صباح الخير يا أسطة علي عامل إيه؟

-أهلًا أهلًا أستاذ محمد ها المعتاد؟

-أها بس خليهم دبل لخويا معايا وكتر الطرشي يا عم علي وحياتك.

-عنيا يا وعندك المعتاد بتاع الأستاذ محمد البريد وخليهم دبل وكتر الترشي يا ترمسة.

-شايفك واقف بتبص للسماء حلوة مش كدة عمرك ما شفتها؟

-والله ما فاكر يا عم محمد إزاي شفتها قبل كدة يمكن كنت صغير جايز بس منظر جميل أوي.

-بيقولك الريس جمال هيبني السد فعلًا يا أستاذ محمد؟

-أها السنة دي هيبدأوا تقريبًا كدة السنة دي ربنا معاهم يا رب.

-آمين يا رب أهو الفطار جاهز يا أستاذ محمد وزودت الطرشي زي ما أمرت أي خدمة تاني؟

-تسلم يا عم علي اتفضل البريزة أهي سلام.

-مع السلامة يا أستاذ محمد ونورت يا أستاذ.

-يلاة بينا على وناكل في الطريق الشغل مش بعيد عن هنا إحنا يدوب هنركب التروماي محطتين ونوصل شايف الدنيا جميلة إزاي أيامي؟

-صحيح فعلًا الحياة بسيطة أوي والناس شكلهم حلو وهما في الشارع وبيضحكوا والأغاني والقرآن والناس الي شكلها يفرح جدًا كل ده مشفتهوش قبل كدة فعلًا معاك حق وإيه التروماي ده؟

-هههه ده حاجة زي القطار بس البطيء أصفر ده متعة تانية هتبسط بيه أوي.

-كان نفسي أفرجك حاجات كتير أوي بس وصلنا.

-مصلحة البريد كبيرة أوي زي ما إنت شايف ويلاة ندخل موظفين زي ما إنت شايف وبدل المصلحة الرمادي وادي قسم الفرز والتوزيع بتاعنا تعالة.

-استنة يا محمد رايح فين بالأستاذ ده؟

-صباح الخير يا عم هلال رد الصباح الأول حتى؟

-صباح النور يا سيدي إنت جايب قريبك تفسحه هنا دي مصلحة شغل والمكان حساس مش للفسحة ممنوع دخول أي حد؟

-سيبه بس يا عم هلال ده أنا داخل للمدير بيه يشوفله شغله وهيمشي عطول يا راجل يا طيب.

-مم إذا كان كدة ماشي بس أعتقد المدير مش عاوز يشوف وش حضرتك بسبب عمليك وتأخيرك وفتح الجوابات المفقودة الي بتعمله ده إنت قليل لو متحكمتش فيها دي.

-سيبه بس يا عم هلال وادعيلي هو المدير أستاذ سعد أوس جه؟

-لا يا سيدي لسة ماجاش طيب هستناه جوة سلام يا عم هلال.

-كما ترى القسم عبارة عن تربيزات طويلة جدًا وصناديق مليئة بالرسائل يفرزها الموظفون ويضعوا الرسائل المطلوبة في المكان المطلوب لإرسالها، ولكن لسة مافيش حد جه.

-إنت فعلًا زي ما عم هلال قال كنت بتفتح الجوبات تقراها؟

-آه كانت هواية عندي أقرأ الجوبات بس كنت أعرف الجواب ده فيه إيه من غير ما أشوفه صدقني إذا كان جواب حب ولا جواب من أم لابنها ولا جواب حد عاوز فلوس من حد ولا جواب فضفة كل جواب وليه شكل.

-يا سلام وكنت تبعرفهم إزاي؟

-الجواب الي رحته حلوة ده للحب والي تطبيقته وغلافه مش ولا بد ولي ولي كنت بعرفهم بالشكل والله قريت في الجوبات كتير أوي الحلو والوحش الجواب فعلًا شيء المفروض محدش يقتحم خصوصيته هو كلام بين اتنين بس ديما ما كنت أحب أشوف الناس بتقول إيه لبعض سميه تلصص سميه فضول كنت أحب أقراها أوي.

-وإيه حصل علشان يعرفوا إنك بتقرأ الجوبات؟

-أنا كنت أقرا أكتر الجوبات الي لم تستدل على عنوان زي جوبات مبعوتة لعبد الحليم حافظ من معجبة وهي بتطلب لقاءه يوم ما الجوابات أفكار كتيرة معدية تحت إيدي مش عيب أسيبها كدة عالم كبير أوي وجميل أوي هنا في الجوبات ألف وملايين القصص تروي بس من غير صوت في صمت لحد ما ملاحظ الورديه الراجل الهلف عبد السميع شافني وأنا بحط الجواب في جيبي وفضحني عند المدير علشان يكسب وده طبعًا

والمدير سعد ماصدق مسك عليا غلطة كان بيكرهني وأنا بكرهه لله في الله وبسبب صداقته مع جوز أختي الي أنا وهو على طول في خناق.

-تعالة اقعد إحنا النهاردا أقوى من أي حد فيهم ميتين بقى ولازم ناخد حقنا من الدنيا كامل استنة صحيح نشوف هدوم الشغل يمكن أنا سايب فيها فلوس تنفعنا لما نترفد ولا صحيح في كل الحالات مش هتنفعنا لأن زي ما ديمًا تقول مينفعش تعيش حاجة محصلتش المهم استنة لاقيت جواب باسمي أنا كاتب عليه المرسل اسمي لكن مش كاتب عنوان استنة نقراه.

أبي العزيز أمي العزيزة إخوتي.

لقد تحملتموني كثيرًا أعرف هذا، تحملتم عنادي وصمتي معظم الوقت سألتموني كثيرًا عما بي وعما يدور ببالي ولما أنا أحمق لا أسمع الكلام ولكن أنا لم أعد أتحمل نظراتكم ولم أعد أستطيع تحمل نظرتكِ يا أمي بأني كبرت ولم أحقق شيئًا ولا نظراتك يا أبي وأنت تراقب الوضع في صمت وكأنك تسأل نفسك وتسألني عما برأسي وفي النهاية، لا تصل لنتيجة ما فتخبر نفسك أن الواد ده ضايع، إخواتي الأعزاء، أعرف أنكم تروني شخصًا بلا جدوة لا يفيد، أعرف أنا لم أكن مميزًا طوال عمري في شيء لم أولد وأنا أتقن أي شيء كانت دومًا من "حفرة لتحديرة" لم أتقن أي شيء لم أتقن عملًا ما، لم أقع بحب فتاة، لم يعجبني طريقًا فأسلكه، لم أكن بارعًا في شيء، بل كنت أتعثر بكل الأشياء. أعرف أني لست الأخ الذي كنتم تتخيلون أن يكون لست ذلك الحائط الذي تستطيعون أن تستندوا عليه، أعرف كيف يفكر الجميع بي بعد أن كنت أتكلم دومًا عن المسؤولية والاعتماد على النفس تجدوني معظم الوقت لا أفعل هذا.

أنا دومًا أردت أن أحقق لكم ما لم تحققوه، أن ألبي أحلامكم أردت أن أراكم أقوى وأكثر ابتسامًا وإشراق، أردت دومًا أن أجلب لكم العالم، ولكن للأسف حتى الآن هذا أفضل ما لدي، صدقوني أعتذر للجميع أعتذر لكم عن عجزي وعن ضعفي وانكساري.

أعرف أن الحياة صعبة عليكم تدهشكم كل يوم بدفعات جديدة من بؤسها تأخذكم كلرهائن المغمين العينين في مركب في عرض البحر ضائعين في الليل، لست سعيدًا بهذا صدقوني.

أعرف أن الحياة ليست مكانًا لتحلم، بل لتعمل فقط وأن "لقد خلقنا الإنسان في كبد" لم أكن يومًا ذلك الخائر القوي، الهين على الدنيا والجبان الذي يهرب من معاركه.

لكن لما صنعت الأحلام إن لم يسعها إليها أحد؟ هل هي مجرد مخدر طويل الأمد ليست شيئًا تسعى إليه؟

هل كل الأحلام تتعلق فقط بالمال بالمستوى الاجتماعي بلي عنده عيال أكتر والي استوفى الشروط المتعارف عليها من قبل المجتمع؟

أنا كل ما أردته هو فسحة صغيرة تكفني لست مضطرًا فيها للاختباء حياة لست متضطرًا فيها لفعل الأشياء التي لا أريدها.

أعرف أن الحياة ليست كذلك وأنها لسيت مكان؛ لتحلم في نظركم وأن الحلم يكون يوم اتنين مش سنوات ولكن لما لا أحلم لما لا أحيى حياة أحبها وأسعد بها لما علي أن أطاطي رأسي في صمت، لم أكن يومًا ذلك الخائر القوي، الهين على الدنيا والجبان الذي يهرب.

لم أرد سوى حقي في تلوين الحياة كما أرها، أن أقابلها كما أحب ألا أجبر على تقبلها والسير معها أنا لا أريد أن أتخلي عنكم، ولكن أريد أن أسلك طريقًا آخر، لعله لا يناسب الجميع ولا حتى أنا، ولكن ما المانع في الموت وأنت تحاول إنها حياة واحدة والنهاية محتومة علينا جميعًا ما المانع في التجربة، إذًا لِم علي السير في الصف؟

أنا لا أصلح في البريد لا أصلح في الروتين لا أجيد شيئًا سوى أن أكتب أعرف أني لست الأفضل، ولكن هذا ما أحب. أبحث عن نفسي هنا وهناك، ولكني لا أجدها سوى في كتاباتي لا أجدها سوى في أن أكون حرًا. الحلم والحياة مغروزون في عظامي إنها كالسرطان على أن أجد سبيلًا للبقاء حر للحفاظ على ما تبقى من روحي، لعلي أعود يومًا لأغير الواقع لأزيل عنكم الهموم والأحزان بطريقة ما، أنا لا أعرف بعد مصيري بعد ولا أين ستنتهي رحلتي

أنا تعبت من الشجار من الحزن من الخوف من المستقبل، إن كنتم تقرؤون هذا الخطاب الآن، فهذا يعني أني حر بالخارج أراقص نفسي في الشوارع والحارات وأني ألعن الكثرين من المشككين الذين أعرفهم يعني هذا أيضًا أني استطعت اختيار مصيري وحياتي، إن كنت تقرأ هذا لأمي، اخبرها أن خيبة أملها فيا لم تكن في محلها أنا لست عالة عليكم يا أمي، لست مضطرة بعد اليوم لتقولي لي إني أجلس جواركِ كالبنات "مستني عدلي" ولستِ متضررة لتخفي على الجميع أني عاطل عن العمل أو لتزيفي كذبة أني أعمل حتى لا يأكل وجهكِ الناس وتخجلي مني، لم أرد يومًا أن تخجلي مني. كنت فقط أحتاج القليل من الدعم منكِ أنتِ وإخوتي وأبي بلا شروط كأن أخبرك أني أستطيع فعل شيء، فتثقوا في هذا، لا بأس

أسمحكم وأشكركم، أريد أن أخبركم كل يوم كم أحبكم وأني أعذركم، ولكن إن رأيتم أحدهم يحاول، لا تدفعوه لما تعرفوه، اتركوه يعرف بنفسه يختار طريقه يختار أي شيء بمحض إرادته لا تصنعوا مسخًا آخر، إن كنتم تعرفوا متمردًا ما لا تسجنوه ولا تلقوا عليه الطوب وتدعوه بالمجنون.

إن كان هناك من كان يحاول أن يعثر على طريقة للخلاص، لا تخبره كم هو ضائع إنه يعرف هذا هو يدرك أن الحياة صعبة هو يعرف هذا، قد يعرف الحياة ووجهها القبيح أكثر منك، ولكنه يحاول ما العيب في أن يفعل الإنسان أشياءً يحبها أخبرني لما علي دومًا أن أجبر وأدفع دفعًا لما علي أن أسير كما تسير وكما يسير الجميع فقط؛ لأنهم يرون هذا الطريق الصواب؟؟

طمئنوه لا تتكاتلوا عليه أخبره أن لا يخف الطريق ويمضي إلى ما هو ماض إليه.

سوف يصل، كما سوف أصل أنا عاجلًا أم آجلًا سوف أصل مهما أخذ مني طول الطريق، تحملت المسبات، تحملت الوحدة إنها تقتل روحي، لكنك سوف تصل نقيًا كما كنت، علي دفع الثمن قبل أن تكون هناك حيث الحياة كما أتمناها وأراها.

تزعجني نظراتهم بالعطف والجنون؟ كأني جرو دهسته سيارة. لا لن اخاف سوف ارد

لن أهتم.

أنا لم أكن عاقًا يومًا، صدقني، خسرت تعاطف الكل، لم أعد أكترث ولم أطلب العطف.

حاولت أن أفهمكم، ولكن لم تسمعوني لا لن أخاف ولن أترجع

سوف أحاول مهما كلفني الأمر، لن أتوقف يومًا ولن أحني ظهري أبدًا، رغم الألم، الكون لن يعطي المحبط ولا المتخاذل ما يريد أبدًا، سوف تدور به الأقدار ويبقى واقفًا مكانه، أما أنا، سوف أأخذ كل ما أريد يومًا ما سوف تصدقوني.

لدي ثقة ما أني سوف أعرف مصيري سوف أرتاح في سريري وأنام بعمق يومًا ما لن أقلق من نظرات الناس لن أخاف مواجهتهم كما لم أخف قط، حتى لو لم يصلك ما كتبته، لن أتوقف حتى أحصل على مصيري ما يرضني ويسعدني، أنا لم أجد الكثير من التسقيف ولا القليل من أي شيء بطريقي لم أجد شخصًا ما يقف بصفي، لم يمسك أحدهم بيدي ويحاول أن يفهمني أو يواسيني أو يدفع عني حتى، على كل حال، لا ألومكم من يدافع عن شخص يبحث عن المجهول؟

أنا سوف أتمرد دومًا وأبدأ على ما أجبر عليه حتى إن بقيت وحدي، لن أرغم على شيء أبدًا، أنا لم أطمع سوى في حياة أعيشها مطمئن القلب ألا يخبرني الجميع ما علي فعله ولا كم فعلت أنا ذاتي ويكفي هذا، لن أريد الركض خوفًا ولن أحمل ما لا أرغب بحمله لم أرد أن أصبح مشهورًا، لم أهتم أن يعرفني الجميع ولا أردت الكثير من المال طمعًا في سيارة، ولا بيت أطلعه بالأسانسير من الجراج ولا أردت أن تحبني ست الحسن والجمال، لم أرد كل هذا قط أردت فقط ما يكفني لأكون حرًا من كل القيود ما يكفني من كل شيء لأستيقظ كل يوم والبسمة على وجهي، إني حي، القليل والقليل فقط الذي يكفني لئلا أرغم.

بالنهاية، لست نادمًا على فعلتي، على كل حال حاولت، اليوم لست أنا الزائد على الكون، بل غيرت شيئًا. لن أتخلى ولن أتنازل أبدًا أنا لم أفعل ما يستحق الفخر، لكني ما زلت هنا أحاول لا عزاء لي اليوم، لكن يومًا ما سوف أحيى حرًا كما أردت أضيء السماء كنجمة لست الأكثر بريقًا ولي الأهم في المجرة، ولكني أكسر عتمة الظلام، أعلمو دومًا أن هناك معتوة ما في الجحيم ما زال يصدق.

الفصل الخامس عشر

-يوسف يا يوسف إنت كويس؟؟

-راسي يا عم محمد راسي هموت من الألم.

-أنا آسف يابني أنا السبب في الي حصل يظهر كلامك صح أنا لما بفتكر بضغط عليك وبستهلك أنا كنت بقرالك الجواب الي في جيبي بتاعة مصلحة البريد وفجأة لاقيتك فقدت الوعي إنت كويس؟

-إحنا رجعنا للبيت والمطر والمدينة فاضية تاني؟

-أيوة مجرد ما فقدت وعيك رجعت تاني هنا كأني صحيت من حلم هنا ولأول مرة تختفي وبردو للأسف منسيتكش إنت حصلك إيه في الوقت ده؟

-أنا معرفتش حصل إيه بردو ولكن يبدو أن الإرهاق بيخرجني من هنا فعلًا لأن فتحت عيني لمدة ثواني يظهر هخرج قريب الحل كان إن تفتكر مش إن تنسى عاوزك تفتكر أكتر يا عم محمد مش عاوزك تنسى تاني أبدًا وحاول تفتكر على طول.

-والله لو بإيدي أفتكر هفتكر أكيد بس حاليًا مش قادر أفتكر أكتر من الي إنت عارفو قصص لا رابط بينها غير إني كنت بحب الكتابة؟ وكنت بتمرد؟ واتجوزت واشتغلت في محل وإنت عارف الباقي فجأة صحيت في الحمام وفجأة الدنيا كلها فضيت عليا أنا وإنت.

-يظهر هي دي قصتي يابني شاب طموح عنده أحلام وردية عن الكتابة والكلام والشعارات الكبيرة وفجأة زي كل الناس تتبخر الأحلام ويتزوج ويجيب أولاد هي دي الحكاية صح

-الظاهر كدة فعلًا بس حصل إيه بعد كدة مش قادر تفتكر؟

-للأسف لا أخبار رأسك إيه يابني لسة في وجع؟

-أيوة جدًا يا عم محمد إنت إزاي قادر تعيش في المطر ده طول الوقت والجو الكئيب ده أنا كرهته في حياتي كلها وهنا عندك أقسى لأنه جديد عليك صح؟

-في أول مرة بس هتدايق منه بعدها هتتعود وحاليًا بقيت أحب المطر والسكون ده بس أعتقد التعود وفعلا الصبح والشمس وصوت الناس مفتقده مفتقد كل حاجة غير المطر والعتمة، الإنسان عمومًا كائن يا قوي أوي لدرجة التعود على كل شيء يا هش جدًا لدرجة قبول الوضع كما هو والتعايش معاه زيك كدة ما إنت في مدن معزولة وبردو مطر؟

-بس أنا عارف إني مش لوحدي يعني وجود ناس وبيعيشوا نفس الي إنت عايشه أعتقد بيهون كتير يعني الإنسان كائن اجتماعي في النهاية.

- إنما هدوءك المبالغ فيه شيء أنا مستغربه ومستغرب وجودك سنين أو شهور أو أسابيع لوحدك في المدينة ولسة عايش ومفقدتش عقلك؟

-محدش عارف حصل إيه أنا ميت ولا نسيت يمكن أكون انتحرت؟ أنا عمري ما أفتكر إني كنت أدور على الناس ديمًا كنت أدور إزاي أبعد عنهم مش لكثرة شرورهم مثلًا أنا زيهم في دي كلنا في الشر سواء كلنا عملنا غلط ما لازم هنتحاسب عليه بس كنت ديمًا أدور على إزاي أكون لوحدي

أكتر وأنا وسط الناس كنت ديمًا ما أشعر إني غريب وديمًا ما كنت أحس أني مش عاوز أتكلم ومش عاوز أحكي وبلي افتكرته كنت كدة على ما يبدو وقت طويل بس الأغرب إني أعتقد كلنا نفس الشيء كلنا في وقت ما حبينا الوحدة ولو سألت أي حد هيقولك نفس كلامي إنه بيدور على إزاي يبعد عن الناس مش يقرب منهم وفي الآخر كلنا كدبين بندور على أول إيد تتمدلنا علشان نتعلق فيها كلنا بنحب الوحدة وكلنا هنقولك إننا كنا الأطيب وإن الناس لا تستحق وإننا أعطيناهم الأفضل ولم يردوا لنا شيئًا ولو سألت أي حد في ما مضى، كان يقولك أنا اتعودت عليها قليلين الي فعلًا اتعودوا على الوحدة وأعتقد علشان كدة أنا فضلت وحدي هنا.

-الأمور تتعقد كل يوم أكتر كل ما نوصل لحاجة تختفي زي السراب أنا بدأت أنسى زيك يا عم محمد بدأت أنسى أنا مين وأنسى أنا هنا ليه كل يوم جزء بفقده.

- متزعلش أكيد لما تخرج هتفتكر كل حاجة إنت أهو بقيت زيي اثنين ناسين كل حاجة.

-تفتكر هخرج في يوم؟

-أكيد هتخرج وترجع للناس بس متنسنيش اتفقنا؟

-اتفقنا بس إحنا بقالنا كذا يوم قعدين تقريبًا مدورناش ولا عملنا حاجة خايف يا عم محمد من كلامك تكون مدورتش على الناس وفضلت هنا؟

-هههه شغل عقلك يا يوسف إنت وصلت لذكرياتي ولازم أكون وصلت للبني آدمين وإلا مكنتش لقيت ذكرياتي صح؟

-هههه في دي معاك حق.

-صحيح يا يوسف حاول تفتكر إنت جبت الذكريات بتاعتي إزاي يعني مكنتش تعرف أي حاجة عني مثلًا موت إزاي حصل إيه يمكن الحجات دي تفيد؟

-كل الي فاكره إني دفعت مبلغ بسيط في ذكرياتك قديمة كانت يعني بقالها فترة كبيرة وكل ما الذكريات بتقدم كل ما بتتلف وتقل يعني تكون قيمتها أقل بكتير.

-علشان كدة كنا كل شويا نرجع ليوم لما صحيت في الحمام وروحت الورشة واصطادنا سمك؟

-بظبط كدة أنا جالي فضول بس أعيد ذكرياتك أكتر من مرة بسبب كلامك وحكاياتك وبعدها إنت عارف الي حصل بس حسب ما أفتكر ولا مرة سمعت إن حد تفاعل مع ذكريات حد تاني واتأثر بيها ووصل للي إحنا فيه ده تفتكر نعمل إيه يا عم محمد أنا مش قادر أفكر؟

-عم محمد مالك

-عنك أفكار جديدة؟؟!

-مش بترد ليه يا عم محمد؟؟

-سامع يا يوسف أنا بفتكر حاجة صح؟

-أيوة فعلًا صوت صريخ جي من بيت حسن جارنا؟

-قوم نشوف بسرعة في إيه.

-الباب مقفول يا عم محمد مش قادر أفتحه جرب إنت؟

-فتح حسن إنت رجعت؟

-ابعد عني ابعد حرام عليك تقتلني سبني وسيب نعمات مالهاش ذنب مشفتش حاجة أرجوك.

-في إيه يا حسن أنا جارك محمد إنت خايف مني ليه؟

-أرجوك يا محمد سيب نعمات وخدني طيب بص أنا معايا ذكريات قد إيه حلوة خدها وسيبني أنا وهي نعيش أرجوك أتوسل إليك.

-أنا مش جي أذيك يا حسن أنا سمعت صريخ.

-مالك إنت اتجننت وإيه الدم ده كله؟

-عم محمد إنت بتخنق حسن سيبه مالك جرالك إيه؟؟

-ماليش تحكم على نفسي يا يوسف الحقني هموته.

-لا حسسن لا مستحيل أنا خنقته بإيدي لاا أنا إيه الي عملته ده يا يوسف؟

-أنا وحش شايف حسن اترمى جثة هنا بسببي صوت الصريخ في كل حتة في إيه بيحصل؟

-قوم أكيد هنفهم حاجة قوم مين الي جي من الباب ده يا عم محمد؟

-مش عارف؟

-الله الله يا عجوز ما إنت شاطر أهو خد دول كام شريحة فيهم ذكريات لفتاة جميلة أوي متع نفسك ودي كمان لكام واحد عاشوا وماتوا من غير نظارة يعني هتنبسط بيهم أوي.

-إنت تقصد إيه يا جدع إنت؟

-في إيه مالك يا راجل يا عجوز سيبني إنت تشطر عليا أنا غير حسن الغلبان جارك الي موته ده.

-اموتة ليه؟؟

-إنت إيه يا حج هي أول مرة إنت نسيت ولا إيه مش إنت الي جتلي قولتلي عاوز ذكريات يا نبيل علشان خلصت الي عندي ودلتني على بيتك وجارك ومراته الي كانوا مستخبين هنا إنت هتعملهم عليا؟

-تعالة هنا فهمني؟

- سيب يا جدع بقولك إيه إنت خدت حقك وغور روح بيتك شغل نظارتك واستمتع بلي فاضل في عمرك بدل ما أرجع في كلامي وأخلص منك إنت كمان غور.

-يوسف يوسف أنا قتلت حسن يا يوسف مستحيل أنا افتكرت يا يوسف شايف المسكين على الأرض مرمي بسببي ومراته جوة بتلفظ أنفسها سامع خلصوا عليها كمان.

-الناس بتصرخ وبتهرب بحياتها مني أنا سرقت حياتهم قتلت جاري المسكين بإيدي؟

-مين دول الي منهم نبيل؟ نبيل أي نوع من النبل ده وأي نوع من السفاحين أنا؟

-اهدي تعالة ننزل ونفهم في إيه؟؟

-شايف دول مسلحين نبيل والي معاه ويلملموا جثث الناس وليخدوهم سواء أحياء أو أموات؟

-إنت يا نبيل إنت رد عليا هنا؟

-في إيه يا جدع يا مجنون إنت أنا بقولك إيه إنت جبت آخرك معايا هتمشي ولا آخدك؟

-سبني سيب أنا بموت الحقنني يا يوسف الحقني.

-متخفش يا عم محمد هنرجع للبيت متخفش.

-وده مين ده كمان الواد ده خد هنا.

-رأسي رأسي.

-رأسك رجلك خدوه معاهم نشوف ينفعنا بإيه ده لسة صغير وسيب العجوز ده هعمل بأصلي بردو.

-بقولك إيه إنت اربط العجوز ده وخده لبيته خليه يغور.

-متخفش يا عم محمد هرجعلك أول ما تفقد وعيك مش هعرف أعيش ذكريات إنت مشفتهاش متخفش.

-عم محمد؟ إحنا رجعنا البيت الفاضي تاني؟

-أيوة.

-زعلان بسبب الي شفته؟

-حسن مش في البيت يا يوسف ولا حد في المدينة.

-أنا كنت سفاح دي الحقيقة يابني صح؟

-لا يا عم محمد متنساش إن دي مجرد ذكريات وأنا وإنت بنأثر فيها بعقولنا وذكرياتنا يعني يمكن وصلنا لدرجة إنك بتحلم يعني زي أي حلم من عقلي الباطن مثلًا؟

-لا يابني دي الحقيقة أنا كنت وحش كنت سفاح كلب من كلاب العصابات؟

-إنت سمعته قالي ارجع والبس النظارة واستمتع وخد ذكريات آهي شريحة وحسن كذاك صح؟

-أيوة دي نفس الي معايا ونفس الطريقة الي أنا هنا بيها يعني إنت لحقتها يا عم محمد مش فاكر عنها شيء؟

-إحنا لازم نخرجك من هنا يا يوسف بأي طريقة أنا بفتكر حجات مريعة يابني مش هخليك توصلها أبدًا ولا تشوفها أنا عرفت الحقيقة يابني ولازم تشوف آخر فصل فيها وتخرج من هنا اتفقنا أكتر من كدة مش تستوعب وأعتقد تفقد عقلك.

-مش قادر أفهم كل شيء بقى مربك ويدعو للجنون.

-هتعرف الحقيقة وهخرجك بس لازم يبني تخرج ومترجعش أبدًا ده كان اتفقنا صح؟

-صح بس فهمني أرجوك يا عم محمد بيحصل إيه؟

-أولًا لازم تنسى كل الي حصل هنا والي شفته إلا الي تقرأه في الورقة الي هديها لك دي

اتفقنا؟

-في إيه يا عم محمد أنا مش فاهم في إيه مالك ليه مش عاوز تقولي الحقيقة عرفت إيه وهخرج إزاي؟

-افتح الكتاب ده واقرأ آخر ورقة دي وأنا هاخد النظارة بتاعتي وهلبسها وأول ما أحطها على عيني ابدأ في القراءة وزي ما قولت لك اخرج واوعى ترجع واوعى ترجع للبس النظارة دي تاني أبدًا وقول لناس كلها وهتفهم كل حاجة منها هتوحشني يابني.

-يلاة ابدأ دلوقتي يا يوسف.

النهاية

إن كان هناك أحد بالخارج ووجد هذا الكتاب، فعلى الأرجح أنك إما قتلتني وإما أني مت وقد وجدتموني أخيرًا لا يهمني كيف مت فأنا لم أحيَ لا أذكر من أنا تحديدًا عشت الكثير والكثير والكثير، الكتاب الذي تقرأه لن تجد به سوى حكايات وحكايات أبطالها كانوا ضحاياي، وهذه آخر قصة أذكرها قصة الشاب المسكين الذي كان يحاول كتابة أول روايته، أعتذر لك صديقي وأعتذر لكل من أنهيت حياتهم لأجل ذكريات أعيشها عزائي الوحيد هو أني كتبت قصصهم، لعل هذا يخلد زكركم، ولكن عما صنعناه بأيدينا، أما بعد، وإن لم تكن تعرف، فهذه الحكاية التي أذكرها عني

ظهر اختراع في العالم منذ لا أذكر كم من السنوات وأدعو وقتها أنه انتصار للعلم سوف يقربنا أكثر ممن نحبهم وفقدناهم سوف يجعلك تعيش حيات أحدهم، ولكنك لن تؤثر ولا تتأثر بهم، بالطبع سوف تكون مشاهدًا فقط لك حق الاستمتاع دون ضغوط اتخاذ أي رد فعل اتجاه ما ترى، من قد يكرهه هذا إنه وحق الانتصار الأكبر للبشر نحن منذ فجر التاريخ أردنا أن نخلد أن يعرف من يأتي بعدنا إننا على الأقل كنا هنا رسمنا حروبنا وانتصاراتنا على الجدران، صنعنا الأهرامات ليرى من يأتي بعدنا أننا هنا نعم ممرنا من هنا كتب ونقوش كلها تخبرك بما رأى من سبقك ما بالك لو أنك تعيش معه الحكاية؟ ولن تؤثر ولا تتأثر إنه وحق كنز للبشرية. ولكني هنا اليوم لأخبرك عن الوجهة الأخرى عن الحكاية ما حدث فعلًا لنا

كعادتنا دومًا منذ أن أكل آدم التفاحة وحتى ننتهي ونحن مصابون بالعقل إنه نقمة لا نعمة يا صديقي

وكحال كل الاختراعات، يخبرك العالم بالجانب الجيد منها فقط كاختراع القنابل النووية هل أخبروك كم تستطيع أن تستخرج منها من كهرباء؟ ولكن لا أحد يخبرك كم تستطيع أن تقتل؟

المهم النظارة تلك بدأت بالانتشار وبدأ العلماء في استخراج الذكريات حين تبدأ في فقدان حياتك أو حين تموت بالأحرى ثم يحولوها لذاكرة تستطيع بكل سهولة استخدامها في النظارة؛ لتدخل ذكريات أحدهم وتعيش فيها حلمًا لم تره وحياة لم تطأها وأشخاص وأماكن لم ولن تراها بالطبع من يكرهه أن يرى والديه بعد الموت كل يوم ويجلس لسمعهم ويراهم إنها أهداف نبيلة في البداية، ولكن الأمر لم ينتهِ هكذا قط، بدأ كل شخص بالبحث عن ذكريات جديدة حلم جديد يحلمه على حساب غيره لتجد حلمًا في الحياة، عليك أن تتعب لأجل أن تعيشه

لتحب عليك أن تنكسر لتبني عليك أن تتعب، ولكن أحلام غيرك سهلة المنال كل ما هناك أن تردي أحدهم قتيلًا؛ لتحصل على أحلامه وذكرياته، وهكذا أصبح الأمر أصبحنا عبيدًا لتلك الأحلام من يطال الآخر، يقتله ليرى أحلامه وذكرياته الدول تصارعت على قتل أعدائهم لمعرفة أسرارهم، الناس تهافتت على أحلام الأطفال الرضع والسعادة قتل ودماء، العالم امتلأ بالقتل من يطال رقبت الآخر، يأتي بها ماذا قد يفعل الإنسان لأجل حلم؟

توقفت البشرية عن كل شيء سوى البحث عن الأحلام والذكريات.

خلال سنوات من انتشار النظارات، ظهر صائدو البشر يصطادون ويعطوك أفضل الأحلام والذكريات المميزة قد تحصل على فتاة جميلة تتفاعل بيت جميل تعيش فيه حلم معها عكس ما يخبروك أنك سوف تحلم فقط، هذه ليست الحقيقة، سوف تحيى حياة داخل خليط من عقلك والذكريات.

لن تسيطر على نفسك كثيرًا حتى تصبح عبدًا مدمنًا، لن تكتفي أبدًا، حول الكثيرين التوقف

وأن يعيشوا ويصنعون حياة كالتي كنا نعيشها، ولكن للأسف فقدوا عقولهم حين تدخل ذكريات أحدهم وحياته وأحلامه تترك في كل مرة جزءً ما من إنسانيتك من عقلك ونفسك، سوف تخرج وتنسى سريعًا من أنت إنها تُهَيئ عقلك لقبول الحلم ولا شيء آخر سوف تنسى من أنت سريعًا لن يستغرق الأمر وقتًا، أما بالداخل ذكريات رجل ما كان فيلم لآخر سوف تجد نفسك في حلم داخل حلم داخل حلم لمسكين ما بدأ كل هذا؟ لم تفهم هذا؟

سوف أوضح لك الأمر أنت بجواري الآن صحيح؟ سوف تبحث عن ذكرياتي وتستعملها وأنا لا أملك ذكريات سوى ما رأيت من النظارة وهي ذكريات شخص آخر وما رأيت منها هو حياة شخص آخر والشخص الآخر ذكرياته هي من شخص آخر حلقات مفرغة تفسد عقلك وروحك وتسلبك ما تعرف حتى تنسى من أنت بالأساس وحين تخرج، لن تجد

سوى مليشيات وقتل أو موتي لبسي نظارة سوف تعود لا محالة للبحث عن شيء لم تره ولن تستطيع أن تراه.

غريب هو عقل الإنسان، رغم كل شيء، نستحق فرصة لنعود نحن لم نكن الأسوأ نستحق أن نعود، حاول أن تجدوا أناس يعيشون بلا ذكريات، حاولوا الخروج كيف لا أعرف ولكن حاولوا حاول ألا تفقد إنسانيتك وألا تقتل أحدًا، حاول، أما أنا، فقد انتهى الأمر لم أعد أقدر على مواجهة الواقع حتى لو حاولت، فنحن خربنا الأرض مجرد حياة بائسة دمرنا كل شيء، إن نجوت من القتلة، لن أعيش كثيرًا أنا من أنا لم أعرف أنا لا شيء وكل شيء كل تلك الحكايات ليست لي، لكن حاول القتال يا صديقي، حاول الهرب وابحث عن حياة حتى إن نسيت من أنت وماذا عشت، لا تعد، اصنع لنفسك مأوى، اصنع حصنًا اركض خارج الأسوار لا تستلم دون قتال وداعًا أيها العالم الجميل وسامحوني، إن كنت مثل الجميع لم أكن شيئًا أكثر من هذا، كل هذه الأحلام والقصص عن التمرد لم أكن أنا لم أكن الشاب الذي يركض ضارب الأرض باحثًا عن حياة تناسبه لم أكن أنا أحد المختارين قط كنت مجرد صائد للأحلام عشت أحلام الجميع، أما أنا، لم أعش قط.

-عم محمد إنت فين؟

-عم محمد؟

إنه مرتدي النظارات يبدو إنه اختار الموت داخل النظارات كما قال هكذا إذا اختفى الناس، إما أن تموت داخل ذكريات النظارة وتعيش بداخلها حتى تأكلك أو تخرج لهؤلاء المعتيه الذين يريدون المزيد والجديد من

الذكريات حسنًا سوف ننهي أنفسنا بأيدينا، فسوف تنفذ عاجلًا أم آجلًا الذكريات لأننا لم نصنع غيرها جديدًا،

وداعًا أيها الرجل العجوز السخيف هيا أخيرًا انتهى الأمر أخيرًا سوف أعود للخارج، لن أرتدي النظارات ولو كانت نهايتي على أن أحيا على أن أغير شيئًا بهذا العالم. لكن قبل كل ده مين إنت ومين الراجل الي ميت هنا ده وإحنا فين ده بيتك ولا بيتي ومين؟

الفهرس

الفصل الأول..... ٥
الفصل الثاني الدكانة قصص: جدتي ١٦
الفصل الثالث السباق والخيل..... ٣٤
الفصل الرابع نهاية السلام وبداية الحرب. ٤٤
الفصل الخامس التاكسي والدكانة وقصة هبيل وقبيل
..... ٥٤
الفصل السادس الحب والروليت..... ٦٠
الفصل السابع الطفل والحسناء ٦٨
الفصل الثامن الخامسة والعشرون..... ٧٦
الفصل التاسع من أنت؟..... ٨٧
الفصل العاشر الذكريات ٩٣
الفصل الحادي عشر..... ٩٨
الفصل الثاني عشر..... ١٠٤
الفصل الثالث عشر..... ١١٠
الفصل الرابع عشر..... ١٢٠
الفصل الخامس عشر..... ١٣٦
النهاية..... ١٤٥